www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com
محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الخامسة | 1 نيسان 2018

زيتون

العدد :174

بعد وصولهم إلى إدلب.. مهجري الغوطة إلى أين؟

انتصار نيروني في الغوطة.. والثورة في العناية المشددة

خاص زيتون

تشابه طريقة تفكير المنظومة الحاكمة في سوريا طريقة تفكير القاتل المتسلسل، صاحب النمط والطقوس المحددة في ارتكاب جرائمه، لاستجلاب أكبر قدر من المتعة، وهو غير قادر على الخروج من تلك الآلية في التفكير، أو الخروج من القالب الذي اعتاده، لارتباط ممارسته بفكرة مسيطرة عليه.

ما سربه النظام في الآونة الأخيرة من مقاطع لرأس النظام عن عودة القائد المنتصر إلى الغوطة واعتلائه دبابة مع مجموعة من الجنود، أو عن استعراض قيادته لسيارته بمفرده في شوارع دمشق، أو عن الإنسانية المفاجئة والمفرطة من جنوده وهم يتربصون بأهالي الغوطة على معابر الموت والذل، بحملهم للأطفال الصغار أو حمل أمتعة المسنين، كل هذا يمكن أن يختصر طريقة تفكير النظام وبراعته في الاستعراض.

ورغم أن الحضور الروسي الطاغي على المشهد الميداني في الغوطة وفي سوريا بشكل عام، ينغص على النظام شيء من حبكته البطولية، لكنه لن يوفر مثل هذه الفرصة التي قد لا تسنح له مرة أخرى.

المقاطع المسربة رغم ما مرت به من تنقيح وتمحيص ومونتاج لم ينجو أياً منها من أخطاء تكشف زيف السيناريو المقدم، قافلة سيارات الصليب الأحمر الدولي أمام سيارة رأس النظام المدعي البطولة، الذل المتخفي لدى الجنود العارفين بحقيقتهم كأزلام لروسيا، وجع الحسرة والاحتقار في وجوه المتعبين الخارجين من خنادق الموت إلى موت أشد، اختاروه ربما حفاظا على الصغار، المفردات المنفلتة أمام دور غير متقن لشعب ثائر وقع تحت رحمة جلاده، أو حركات عناصر الجيش المتحفزة للانتقام، الأطفال الذين لا يعرفون الكذب، وبصاقهم على عناصر النظام حين يذكر الأسد، رغبة الكبار في عبور المشهد المخزي بأقل انكسار، خوف النساء مما بعد العدسة، لقاء القاتل مع الضحية في تمثيلية أجبر عليها الطرفان.

«أنا أو لا أحد»، منذ بدأ حكم الأسد الأب حتى اليوم يتبع النظام هذه القاعدة، سأهدم بيوتكم، وأحول أطفالكم إلى أشلاء، سأقتلكم بكل الوسائل، سأنحني للجميع مقابل أن أذلكم، هذا ما يريد قوله بشار الأسد في مسرحيته الفجة.

صورة الطفل الحامل لصورة جلاده بإحدى يديه بينما يحمل أمتعته في اليد الأخرى، برأس منكس يقطر قهرا، الطفل الآخر الذي يبصق على الجندي في مقطع مصور لإعلام النظام، حين سمع باسم بشار الأسد ونهر والده له، المفردات المهيأة سابقا من الأهالي كتذاكر عبور، العيون التي تصرخ عكس الكلمات، غموض المصير بعد تلك اللحظات، هي جزء من نهج القاتل في ذل ضحاياه، وهي رسالة لمواليه قبل معارضيه عن مصير من يقول لا.

ووسط حالة من العجز والضياع واستنجاد العالم الميؤوس منه، تعود الأسئلة لتبحث عن المسؤول، الاقتتال الفصائلي في الغوطة وإدلب، أخطاء الفصائل على المدنيين، تخلي المجتمع الدولي وعلى رأسه أميركا عن القضية السورية، استفراد الروس بسوريا وشعبها وتحويلها إلى حقل تجارب لأسلحتها الفتاكة.

تعود الأسئلة لتطرح من جديد حول عدالة الحياة وانهزام الحق وانتصار الظالم، في الوقت الذي تحمل به سيارات الهلال الأحمر أهالي حرستا إلى أماكن بعيدة، وأهالي حمورية وسقبا إلى مراكز إيواء غير واضحة المصير، وسط اعتقال الشباب إلى جهات مجهولة، وبدء الحديث عن تفاهمات يجريها جيش الإسلام مع روسيا لتسوية في دوما.

قد يكون ما يحدث اليوم هو التبرير الحقيقي لما قام به السوريين منذ سبع سنين، في قضية ما تزال مفتوحة منذ الأزل، لا يمكن أن تنتهي.. حرية الإنسان وكرامته.

طفل من مهجري الغوطة أثناء خروجه من الغوطة - أنترنت

الديزل وغصن الزيتون وتهديد المحاصيل في إدلب

«وصل سعر برميل الديزل إلى مئة وعشرون ألف ليرة سورية، ومحصولي محصول مروي، يحتاج للري بشكل مستمر، لدي عشرة دونمات من البطاطا، وبرميل الديزل لا يكفي إلا لسقاية ثمان ساعات، أي ما يعادل ري دونمين فقط، أحتاج بكل سقية لخمسة براميل، مما يعني أني سأدفع ستمئة ألف ليرة بكل سقية، وهذا مبلغ لا يمكنني احتماله».

أسامة الشهابي

هذه شكوى «محمد العلي» وهو مزارع من «ريف إدلب الجنوبي» أطلقها من أمام محصول البطاطا وهو يقف حائرا مكتوف اليدين بعد كل تعبه فيه، مرجعا معاناته لمشكلة ارتفاع سعر مادة الديزل لحدود قصوى بالأيام الأخيرة، التي بدأت ملامحها مع معركة غصن الزيتون وقطع الطريق التجاري للديزل هناك، مما جعله أمام خيارين أحلاهما مر، إن يستمر بالري وتحمل الخسارة الكبيرة، أو أن يتوقف ويراقب موسمه يذبل ويموت أمام عينه.

يعتمد الأهالي بأرياف إدلب على الزراعة كمورد اقتصادي أساسي، إلا أن السنوات الأخيرة باتت تهدد هذا المورد على أكثر من صعيد، وسط أجواء الحرب وما يرافقها من تحديات للفلاحين ولاستمرار الزراعة، ومع تضاعف الصعوبات في كل عام عن العام الذي يسبقه يمكن أن يكون هذا الموسم هو الأصعب على المزارعين.

تواجه الزراعة بسهول إدلب هذا الموسم تهديدات جمة، بنوعيها المروية والبعلية، هذه التهديدات قد تقضي على المحصول قبل الوصول لنهاية الموسم إذا ما استمرت الظروف على هذا الحال.

أهم الزراعات المروية هذا الموسم بإدلب هي: البصل، والثوم، والبطاطا، بعد تحول المزارعين للزراعات البعلية، بسبب تنامي تكاليف الزراعات المروية، فالمشكلة لاتقف عند تكاليف الري وارتفاعها الباهظ هذه الفترة، إنما تتعدد التكاليف لهذه المحاصيل، كما يروي الفلاحين هنا.

يقول المزارع «خالد الأحمد» لزيتون: «أنا ما زلت ازرع المحاصيل المروية رغم تركها من قبل كثير من الفلاحين، إلا أنني بت لا أقوى على تكاليفها، وفي معظم الأحيان تتسبب لي بالخسارة، حيث يحتاج الري للديزل، وللأسمدة، والأدوية الزراعية، وكل ذلك مكلف ومرهق».

ويتابع «الأحمد»: «سعر كيس السماد الواحد يتراوح بين عشرة آلاف ليرة سورية وثلاثة عشر ألف ليرة، حسب نوعه، ناهيك عن أسعار الأدوية، فسعر ليتر المبيد الحشري عشرة آلاف سورية، ونحن نحتاجها أكثر من أصحاب الزراعات البعلية، مما يجعلنا ندفع الكثير ونثقل المحصول بكثرة التكاليف.»

أما المزارع «حسين العوض» صاحب حقل الثوم الذي قرر التوقف عن ريه، حتى لو رآه يذبل ويموت أمامه، بحسب وصفه، فحقله خمسة دونمات ولا يستطيع ريها بهذه الكلفة، لاسيما وأنه كان قد عالج محصوله بعد إصابته بداء الصدأ، وتكلف ما تكلف، لذلك قرر الاستسلام إلى أن تتوفر المحروقات.

ولا تقتصر معاناة المزارعين في إدلب على أسعار الديزل والأدوية الزراعية وحسب، بل تتعداها لتشمل أيضاً سوء التسويق لمحاصيلهم، والنقل وقطع الطرقات نتيجة الأوضاع، ما يؤدي إلى ارتفاع تكاليف المحاصيل وانخفاض أسعارها االزراعية وكسادها، وبالتالي لخسائر باهظة تقع على حساب المزارعين، فضلاً عن عدم فعالية الأدوية الزراعية، وتكاليف صيانة الآبار وغيرها.

وليس أصحاب الزراعات البعلية بأفضل حال من مزارعي الزراعات المروية بعد توقف المطر، وحاجتهم لريها أيضاً، حيث لاقت الزراعات البعلية انتشاراً واسعاً على حساب رديفتها في إدلب بالسنوات الأخيرة، وأهم هذه الزراعات هي الحبوب والزراعات البهورية كالكمون، واليانسون، وحبة البركة، والكزبرة وغيرها، إضافة للزراعات البقولية كالحمص، والعدس، والفول، والبازيلاء، وغيرها.

«إما ينزل المطر أو ينزل سعر الديزل « عبارة قالها «محمد السرحان» صاحب حقل كمون، من مزارعي إدلب مضيفا: «كانت بداية الموسم ممتازة، فقد تساقطت الأمطار بشكل جيد، إلا أنه بعد حلول شهر آذار توقف المطر، وهذا التوقف الآن أوصل المحصول لمنتصف الطريق بعد زهوته الأولى، ويحتاج لري إذا لم ينزل الغيث، والري مكلف جداً، هذا إن استطعنا الري فهناك الكثير من الحقول لا تجاورها آبار ماء.

موضحاً أن ما زاد الطين بلة هو في المطر الكثيف الذي تساقط بفصل الشتاء والذي تسبب ببعض الآفات، مثل آفة الفطري، التي تحتاج لمبيد فطري والذي يبلغ سعر اللتر الواحد منه أحد عشر ألف ليرة سورية.

كما ترافق ارتفاع سعر الديزل مع غلاء أجور اليد العاملة أيضاً، حيث أن ورش العمال تكون لصاحب سيارة يسمى «شاويش الورشة»، وهو الشخص الذي يديرها وينقلها من حقل لآخر، وهو الذي يتفق مع صاحب المحصول على الأجر.

تعددت الأسباب والنتائج واحدة، مؤشرات عديدة تهدد مزارعي إدلب، ولسان حالهم يقول: إن خاب هذا المحصول سنعقد الآمال على المحصول القادم.

عائشة وأمل
وقصة مجزرة الأطفال في مغارة كفربطيخ

أحد عناصر الدفاع المدني أثناء انتشال الجثث في القرية - أنترنت

بينما كانت عائشة تحاول إقناع أختها أمل بالهرب معها باتجاه منزلهما، كانت أمل هي الأخرى تحاول إقناعها باللجوء إلى أقرب مكان يمكن لهما الاحتماء فيه.
خرجت أمل وعائشة من مدرستهما مسرعتان، ترتعدان من الخوف، بعد أن طغى صوت الطائرة على صوت الأناشيد المنطلقة من مدرستهما احتفالا بعيد الأم، فوجدتا عائلة تهرع إلى مغارة بجانب منزلها المجاور للمدرسة، ولشدة خوفها فضلت أمل الالتحاق بالعائلة شأنها شأن الكثير من زميلاتها، بينما رفضت عائشة وأثرت الانطلاق عبر حقول الزيتون باتجاه منزلها.

خاص زيتون

افترقت الأختان بعد أن حاولت كل منهما أن تشد الأخرى للذهاب معها، ولكن دون جدوى، فلا مجال لكثير من المحاولات، ولا علم لأيٍّ منهما بالخيار الأفضل للنجاة، فلم تكن عائشة تعلم أنها لو نجحت بإقناع أختها ستنقذ حياتها، كما لم تكن أمل تعلم بأنها كانت ستأخذها معها إلى السماء.

قبل أن تصل عائشة إلى المنزل، كانت الغارات الروسية قد دمرت المغارة التي التجأت لها أختها من شبح الموت، إلا أنه طاردها ووصل إليها في مخبئها، فكانت أمل واحدةً من بين ١٦ شهيدة من طالبات مدرسة كفربطيخ للتعليم الأساسي للإناث، اللواتي قضين تحت ركام تلك المغارة، بينما كُتب لعائشة النجاة.

لم تكن "أمل وعائشة محمد حمندوش" الأختين الوحيدتين اللتين فرقت الطائرات الروسية بينهما في صباح يوم الأربعاء ٢١ آذار، فقد عبرت الطفلة "أسماء صالح أصلان" عن فقدها لأخواتها الثلاث بعبارة واحدة: "إخواتي راحوا عالجنة"، أما الطفلة "ملاك جمعة الخالد"
إحدى طالبات الصف الأول بالمدرسة، فتحدثت عن فقدها لصديقتيها في الصف قائلةً: "نعيمة ومرام كانو بصفي طلعنا سوى لما قصفت الطيارة، هن راحو عالمغارة وماتوا، وأنا رحت بعيد".

كان صباحاً بدا للجميع أنه جميل، فقد بدأته طالبات المدرسة باحتفالية بسيطة، أنشدن فيها بضعة أناشيد للأم في ساحة مدرسة كفر بطيخ للتعليم الأساسي للإناث، قبل أن ينطلقن إلى صفوفهن، وما أن انتهت الحصة الثانية حتى سُمع صوت الغارة التي استهدفت مكاناً يبعد عن المدرسة ٣٠٠ متر، هكذا وصف مدير مدرسة كفر بطيخ للتعليم الأساسي للإناث "محمود الياسين" صباح يوم المجزرة، مضيفاً:
"قمنا بصرف الطالبات على عجل خوفاً من استهداف المدرسة وحرصاً منا على حياتهن، وبعد خروجهن من المدرسة، وجدن عائلة في منزل قريب تلجأ إلى مغارة، وقام صاحب المنزل بالطلب منهن النزول مع عائلته، في محاولة منه لإنقاذهن من القصف المحتمل، والذي لم يتوقع أنه سيستهدف المغارة، وما أن مضت دقائق حتى كانت الغارة الثانية على المغارة ذاتها".

أما "يوسف الياسين" صاحب أحد المنازل القريبة من المغارة، والذي كان يحمل كاميرته ليوثق الغارات بعدسته، فكانت الغارة أسرع من عدسته، وعندما وجد نفسه سليماً هرع مسرعا إلى المغارة، وإذا بها ركاما لم يبقى منها سوى بضع درجات، فنزل وبدأ بالصراخ علّه يلقى رداً، وحين لم يجد جوابا ظن أنهم خرجوا منها، لكن المفاجأة كانت عندما وصل ابن صاحب المنزل، والذي يسكن في حي آخر من البلدة، وأخبره أن الجميع في الداخل.
وأضاف "يوسف: "ماذا نصنع وأمامنا أكوام من الركام لا نعلم كم عدد من تحتها، رحنا نحفر بأيدينا ريثما وصل الدفاع المدني وتولى المهمة".

"أحمد صياح" أحد عناصر الدفاع المدني وصف لزيتون المشهد بقوله:

> "كنا نخرج الجثث من المغارة ثم نتعرف عليها من أسماء الطالبات على حقائبهن المدرسية، والأهالي حولنا وكل منهم يبحث عن ابنته، متأملا أن لا يجدها في هذا المكان".

ويوضح "صياح": "إحدى الأمهات ضمت حقيبة طفلتها قبل أن يجدوا الطفلة التي وصلتها جثة هامدة، في حين كانت طفلة أخرى ما تزال حقيبتها على ظهرها، تلقفها والدها ومضى باكياً".

الناشط الإعلامي "حسن المختار" الذي كان يغطي تفاصيل المجزرة، قال لزيتون: "شاهدت أماً واباً لطفلة ينتظرون، وكل ما سمع الأب بذكر بيت اختبأت فيه طالبات يسرع إليه باحثاً عن ابنته، وكله أمل أن تكون من الناجين، لأنها لم تكن من الحي الذي وقعت به المجزرة، ولكن فاجعتهم كانت عندما استخرجت فرق الدفاع المدني ابنتهم، وكان استقبالهم لجثة طفلتهم موجعا حتى أني لم أعد أستطيع تحمل المشهد، تلك الطفلة التي كان لها أحلاماً في الحياة تأمل تحقيقها، فأسقطتها طائرات الروس شهيدة، وأسقطت أحلامها معها".

"حسن القسوم" أحد أهالي بلدة كفر بطيخ وصف لزيتون:
"كان يوماً عصيباً علينا ومصاب عام لكل أهالي البلدة، بقيت فرق الدفاع تعمل من الساعة العاشرة والنصف صباحا حتى الثالثة والنصف عصرا حتى انتشلت كل الشهداء من المغارة، والذين بلغ عددهم عشرين شهيداً وشهيدة، بالإضافة إلى جنينين استشهدا في أرحام والدتيهما".

وأضاف "القسوم":
"٢٢ شهيداً وشهيدة، بينهم ١٤ فرداً ينتمون إلى عائلة القسوم، منهم صاحب المنزل وزوجات أبنائه الثلاثة، وخمس حفيدات، وحفيدين له، وحفيدين آخرين لم يخرجا إلى الحياة ولن يخرجا، و ٦ شهيدات من عائلة أصلان".

كانت هدية الضامن الروسي لاتفاقية خفض التصعيد، والذي ما يزال يمثل المفاوض بدلاً عن نظام الإجرام، للأمهات السوريات في بلدة كفربطيخ في يوم عيدهن، كفناً أبيضاً يضم جثامين بناتهن وهن في زيّهن المدرسيّ، بعد أن كان حلمهن أن يحتفلن ببناتهن بزيّ التخرج من إحدى أفرع الجامعات، ليُكرر مأساة أمهات بلدة حاس بعد عامين من وقوعها، لتكون الأولى على يد النظام المجرم، والثانية على يد الضامن القاتل، ولكن كلتاهما كانتا بعد نهاية الحصة الثانية.

التعفيش في عفرين.. مشاهد يندى لها جبين الثورة

تسربت منذ عدة أيام صور من مدينة عفرين السورية، بعد سيطرة الجيش التركي والجيش السوري الحر عليها في ١٨ من الشهر الماضي، وتظهر الصور بعضاً من عناصر الجيش الحر يقومون بنهب وسرقة أغراض تعود لأهالي مدينة عفرين. وقوبلت تلك الصور باستياء كبير من الأهالي والنشطاء الذين عبروا عن غضبهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، كما طالب البعض بوضع حد لمثل هذه التصرفات ومحاسبة الفاعلين بأقصى سرعة.

خاص زيتون

ويأتي هذا الاستياء الكبير من قبل جمهور الثورة حرصاً على الحامل الأخلاقي لها، بعد ما تعرض له من انكسارات ساهمت فيها أخطاء الفصائل والفوضى المرافقة للاقتتال والاعتداءات فيما بينهم، لذا كان من غير المقبول للسوريين الذين ثاروا على نظام الأسد بوصفه ظالما، بظلم فصائلهم ولا سيما الجيش الحر، الذي بقي أمل السوريين الأخير، بعد ما انكشفت مشاريع الفصائل الإسلامية المستقلة عن أهداف الثورة السورية.

ورغم الجدل الذي دار حول شرعية مشاركة الجيش السوري الحر في معركة غصن الزيتون، إلا أن مشاركته بقيت دون إفصاح عن الموافقة النهائية، مع ميل عام لدى السوريين إيجاباً للمشاركة، طمعاً في دخول الجيش التركي إلى مناطق الشمال السوري على أمل إيقاف تقدم قوات النظام التي وصلت إلى مناطق لم يكن متوقعا وصولها إليها ولا سيما غرب سكة الحديد في أبو الظهور.

بالمقابل كشف اتفاق استانة عن حجم خروج القرار من يد السوريين وارتهان القرار للدول الثلاث الضامنة، والتي تشكل تركيا الضامن عن مناطق الشمال المحرر بما فيها من الفصائل، هذا الارتهان وما تزامن معه من تقدم لقوات النظام، والهزائم القاسية والمصيرية في الغوطة الشرقية، دفع بالأهالي لإعادة النظر بمعنى مشاركة الجيش الحر في معارك هامشية لا تعني السوريين كثيراً إن لم يكونوا معارضين لها، كل ذلك انعكس بمشاعر متضاربة حول مشاركة الحر في عفرين وما نتج عنه من ممارسات يندى لها جبين الثورة، في مشهد لا يمكن معه إلا استحضار مناظر التعفيش من عناصر الجيش السوري أثناء سيطرتهم على المدن، وهي المقارنة التي تجلت بمقت واضح وكبير من قبل الجميع.

سرقة الآليات والمعدات من قبل عناصر الفصائل المشاركة بذلك الشكل الوضيع، أثر على عدالة قضيتهم كثوار، كما أثر على صورة الثورة والجيش الحر، وبالتالي أعطى مشروعية للطرف الآخر المعارض للمعركة وللمشاركة فيها، وما سيتبعه من عواقب تاريخية ليس من السهل تجاوزها مستقبلاً.

"حيدر ملاك" أحد أبناء مدينة إدلب قال لزيتون: "كان من الأولى لعناصر الجيش الحر أن يذهبوا لنصرة أهلهم المحاصرين في الغوطة الشرقية، بدل أن يذهبوا للقتال في عفرين ويعفشوا بها، فللمعارك أولويات والجميع أصبح يعرف اليوم أن الأولوية لنصرة الغوطة".

فيما شكك "معن ميسرة" من أبناء إدلب بانتماء المقاتلين الذين ظهروا في الصور للثورة أو بحقيقتهم كمقاتلين، مشيرا إلى تمهيد الطيران أمامهم، واصفاً المعركة بالخدعة التي لا أساس لها ولا شرعية، مؤكداً على لصوصيتهم وشبههم بعناصر بشار الأسد، محذراً من انتشار ظاهرة التعفيش في أوساط الجيش الحر إن لم يتم وضع حد لها بحسب تعبيره.

من جهة أخرى ردت بعض الألوية والفصائل والقيادات في الجيش السوري الحر ببيانات نصت على قرار يقضي بمنع دخول أياً من عناصرها إلى مدينة عفرين إلا بعد إذن ومهمة رسمية، كفيلق الشام قطاع ريف حلب الشمالي ولواء السلطان سليمان شاه، كما قام بعضهم بفصل العناصر الذين تورطوا بالسرقة كالفيلق الثالث الفرقة الثانية.

إلى ذلك بث عناصر يتبعون للجيش الحر في الفيلق الثالث مقطعاً مصوراً، يظهر فيه القبض على مجموعة مكونة من عدد من الأشخاص وبحوزتهم سيارة تحتوي على مسروقات تم نهبها من ممتلكات المدنيين في عفرين، وكما أوضح المقطع بأن العصابة لا تنتمي إلى الجيش السوري الحر.

> **سرقة الآليات والمعدات من قبل عناصر الفصائل المشاركة بذلك الشكل الوضيع، أثر على عدالة قضيتهم كثوار، كما أثر على صورة الثورة والجيش الحر، وبالتالي أعطى مشروعية للطرف الآخر المعارض للمعركة وللمشاركة فيها، وما سيتبعه من عواقب تاريخية ليس من السهل تجاوزها مستقبلاً.**

فيما تم بث مقاطع مصورة على شبكة الإنترنت لمدنيين أكراد يشتكون بسخط من سرقة أغراضهم وممتلكاتهم من قبل عناصر الجيش الحر، مطالبين الجهات المعنية باستعادة ممتلكاتهم المسروقة ومحاسبة اللصوص.

"محمد العبد الله" أحد أبناء محافظة إدلب يرى في مثل هؤلاء العناصر الذين ظهروا في الصور وهم يسرقون ممتلكات المدنيين بعفرين، بأنهم خنجر مسموم في قلب الثورة السورية، فتصرفاتهم هي تصرفات فردية، ولكن للأسف قد تنعكس بشكل سلبي على سمعة الثورة وثوارها ونظرة العالم لها.

ويضيف "العبد لله" لزيتون: "من المعروف لدى الجميع أنه يوجد الكثير من المقاتلين في صفوف الجيش الحر هم من الذين تم تهجيرهم من قبل قوات الكردية، وهو ما اتخذه بعضهم حجة وذريعة لسرقة الممتلكات وهذا أمر خاطئ".

ورغم ظهور صور أخرى لعناصر من الجيش الحر يحاولون تقديم المساعدة للمدنيين في عفرين وإسعاف المصابين إلى المشافي، وهو مشهد مناقض للمشاهد السابقة، والذي يعكس أخلاقيات الثورة ورسالتها، إلا أنها لم تكن ذات تأثير كبير، بل فهمها البعض بأنها محاولة لترميم ما تخرب من سمعة الجيش الحر وليست سوى استعراض فاشل.

ويعتبر "ثابت رمضان" وهو من أحد أهالي المنطقة أن نسبة كبيرة من أفراد الجيش السوري الحر هم من أوائل الثوار الذين خرجوا بالثورة، مستنكراً تعميم صفة التعفيش على الجيش الحر، مؤكداً على فرديتها وشذوذها عن سلوكيات الثورة والثوار.

في الجانب المؤيد للمعركة يرى "معمر عكار" من إدلب أن الأولوية كانت لفتح الجبهات مع النظام، لكنه يعود ليؤكد على ضرورة قتال المليشيات الانفصالية، التي مارست الاعتقال والاعتداء على مناطق وفصائل الجيش الحر متسببين بالكثير من الأذى للثورة السورية، فضلاً عن الأتاوات التي كانوا يفرضونها على البضائع التي تمر من مناطقهم وأهمها المحروقات، الأمر الذي كان ينعكس سلبا على حياة المدنيين في الشمال السوري المحرر.

في مشهد الحرب السورية وتحكم شريعة الغاب فيها، تتبدل السيطرات العسكرية باستمرار، في معارك مستمرة بين الفصائل والجهات المتصارعة، ليرى كل طرف أن ممتلكات المدنيين في المناطق المسيطر عليها حديثاً هي غنائم من حقه أن يحوزها، متناسين أن هذه الأرض وما عليها هي من حق أصحابها المدنيين، لا يمنحهم سيطرتهم عليها بالسلاح أي حق، ولا فرق بين ثائر ولص وشبيح إن تساوت التصرفات، كما لا يمنحهم انتماؤهم لطائفة أو لعرق أي امتياز، وهو مرجعية الثورة السورية الأخير للاعتراف بكل مكوناتها ومن أهمها الكرد.

بعد وصولهم إلى إدلب.. مهجري الغوطة إلى أين؟

وقفوا على مشارف مدنهم في الغوطة، ألقوا نظرة الوداع الأخيرة على ما تبقى من أطلال منازلهم، حملوا ما تيسر من حاجياتهم وبعض الثياب على ما تبقى من أجساد أنهكها الجوع والعطش والخوف، تركوا خلفهم ذكريات ثورتهم ومضوا مهجرين رغما عنهم، عبروا ممرات الموت من تحت سيوف العدو، وسياط الشماتة تلسع كبريائهم.

خاص زيتون

«لم نخرج طائعين»

«أم محمد» إحدى المهجرات من بلدة زملكا إلى مدينة إدلب قالت لزيتون: «خرجنا من الغوطة في فترة صعبة ولم نخرج عن طيب خاطر، خرجنا مجبرين ولم نملك خياراً آخر، رأينا أولادنا ورجالنا تحت الأنقاض بأم أعيننا، بقينا أيام في الأقبية، الأطفال قضوا نحبهم من الرطوبة والجوع، كنا نتمنى شربة الماء».

وتضيف: «شعرنا بالذل في ساعات انتظارنا الباصات قبل وصولها، كنا نفكر متى سنعود، حين مشت بنا القافلة كنا تحت حماية القوات الروسية التي وعدتنا بتأمين مستلزماتنا، لكنهم لم يعطونا سوى زجاجة ماء وقليلا من الخبز، كل ذلك في جو بارد ترافق مع هطول الأمطار ما أضر بالأطفال كثيرا».

«محمد الجوبري» أحد مهجري حي جوبر والذي وصل إلى إدلب مع عائلته روى لزيتون عن رحلته: «خرجنا من الغوطة بعدما لم يبق حجرا على حجر، وقدم لنا الضباط الروس ضمانات بعدم التعرض لنا، مؤكدين أننا سنصل إلى إدلب دون إزعاج وتحت حمايتهم، وبعد تفتيشنا، لكن ما أن بدأت الرحلة حتى رأينا العكس».

وتحدث الجوبري كيف تعمد النظام مرور الباصات من القرى الموالية له ليشمت بنا أهلها، ولم يسلم المهجرون من الألفاظ المسيئة والاعتداء بالحجارة على القافلة من ميليشيات الدفاع الوطني والشبيحة حتى تكسر زجاج الكثير من الباصات التي لم يسمحوا لهم بالخروج منها.

وكانت مصادر إعلامية أفادت أمس أن ٦ مهجرين استشهدوا وأصيب أكثر من ٢٠ آخرين بينهم حالات بتر، إثر اصطدام شاحنة محملة بالخضار، بالحافلات التي تنقل مهجري القطاع الأوسط من الغوطة الشرقية، خلال مرورها من طريق بيت ياشوط إلى بلدة التميّزة في ريف حماة.

وأضافت المصادر أنه وأثناء مرور القافلة التي تقل مهجري الغوطة، في مناطق سيطرة النظام، تم ضرب الحافلات بالحجارة، وتكسير زجاج عدد منها أدت إلى أصابات حرجة.

ونقلت المصادر عن أحد الجرحى قوله إن سبب الحادث قيام الموالين للنظام، بقطع كبل المكابح دون علم السائق أثناء تفتيش الباصات، ما أدى إلى فقدان السيطرة على الباص أثناء القيادة.

ووصلت جثث الشهداء إلى الحاجز الأول للجيش الحر على مدخل قلعة المضيق، ليتم تحويل عدد من الإصابات المتوسطة والبالغة إلى المشافي المختصة.

مهجرو الغوطة الشرقية إلى أين؟

على خلاف عمليات التهجير السابقة إلى محافظة إدلب، لم يجد مهجرو الغوطة الشرقية مركزاً يأويهم، فالعدد الهائل من الأهالي الذين تم تهجيرهم من الغوطة، والسرعة في تطبيق اتفاق التهجير، لم يسمح للفعاليات المدنية والمنظمات بالتجهيز لاستقبال المهجرين، بالإضافة إلى وصول مهجري حي القدم الدمشقي قبل أيام للمحافظة، فضلاً عن حملة النزوح الغير مسبوقة من مدن وبلدات ريفي حماة وإدلب، والتي توزع أهلها على أكثر من ٨٠ نقطة في محافظة إدلب، على خلفية المعارك التي دارت شرق سكة القطار.

لم يسبق وأن شهدت المحافظة نزوحاً بهذا الكم، كما لم يسبق لها أن شهدت عملية تهجير بعدد كبير كما في عملية تهجير أهالي الغوطة الشرقية.

عمليات التهجير السابقة، وحملات النزوح الأخيرة خلقت في مدن وبلدات إدلب كثافة سكانية كبيرة، وبالتالي أزمة في تأمين السكن لمن سبق أهالي الغوطة الشرقية، فكيف بعد تهجير الآلاف من أهلها؟، ولا سيما أن حملة قصف مكثفة وممنهجة كانت قد استهدفت المحافظة قبل وقت قصير، ودمرت ما دمرت من منازل ومرافق.

٣٣٤٨٢ مهجّر وصلوا إلى محافظة إدلب حتى الآن بحسب «منسقو الاستجابة في الشمال السوري»، والرقم قبل وصول القافلتين الأخيرتين من مهجري القطاع الأوسط في الغوطة الشرقية، إذ من المتوقع أن يصل العدد إلى ٤٠ ألف مهجر.

تعتمد آلية توزيع مهجري الغوطة على استقبال الأهالي في نقطة الصفر بقلعة المضيق بريف حماة، ليقوم منسقو الاستجابة بالتنسيق مع المنظمات للمساعدة بعملية نقل المهجرين لمراكز الإيواء المؤقتة، وتقديم الوجبات الغذائية والمواد الطبية، وذلك بعد البحث عن أماكن لتوجيه القوافل إليها، عبر تقسيمهم إلى دفعات بعد التنسيق مع مراكز الإيواء والجهات المدنية التي جهزت أماكن لاستقبالهم.

وتستقبل المحافظة خلال الأيام الأخيرة نحو ٦ آلاف مهجر يومياً، وهو رقم كبير ويترتب عليه تجهيزات كثيرة، وعلى إدلب وأهلها احتواء المهجرين، وفقاً لما صرح به منسقو الاستجابة في الشمال السوري لزيتون.

أحد مصابي الغوطة عند وصوله إلى إدلب - زيتون

مراكز الإيواء ومحاولات المجالس المحلية في إدلب

قد يتخيل للبعض أن مراكز الإيواء هي مخيمات تم تجهيزها بشكل جيد للسكن إلا أنها بحسب وصف الناشط الإعلامي «معاذ العباس» لزيتون: «مراكز الإيواء هي عبارة عن مجموعة خيام كبيرة تُعرف بالـ «هنكارات»، تم تخصيص بعضها للرجال والبعض الآخر للنساء، حيث يمكث المهجرون فيها مؤقتاً، ريثما يجدون لهم أماكن يسكنون بها، أو يتم تحويلهم إليها».

وكان مهجرو حي القدم الدمشقي قد وصلوا إلى محافظة إدلب قبل أيام من وصول مهجري مدينة حرستا، والتي كانت أول اتفاقية تهجير في الغوطة الشرقية، وتم تأمين مهجري القدم وحرستا والبالغ عددهم ٦٦٤٩ شخصاً في مركزي إيواء «ساعد» و «ميزناز»، وذلك قبل أن يبدؤوا بتأمين منازل واستئجارها، وينجحوا في ذلك.

«أمين الشامي» من مهجري حي القدم الدمشقي قال لزيتون: «استطعنا إيجاد بيوت في عدة بلدات وبمبالغ زهيدة لأننا وصلنا ضمن الدفعات الأولى، ففي أريحا مثلاً بلغ سعر إيجار البيت بمعدل وسطي ١٥ ألف ليرة، ولكننا نسكن كل عائلتين في بيت».

وأضاف «الشامي»: «أدوات المطبخ والمنامة غير متوفرة، وهي أكثر ما يلزمنا، كما أننا نعاني من مشكلة المياه حيث ندفع كل ثلاث أيام ٢٠٠٠ ليرة سورية ثمناً للمياه، وأرى أن الوضع يستوجب وقفة ومساندة حقيقية للمهجرين».

بعد القدم وحرستا بدأ مهجرو القطاع الأوسط في الغوطة بالوصول، ليزداد الزخم البشري في إدلب، وتصبح مراكز الإيواء غير كافية لاستقبال المهجرين حتى مؤقتاً، مما دفع المهجرين إلى اللجوء للمساجد في المدن الكبرى مثل «إدلب، معرة النعمان، سراقب»، ليتولى أهالي هذه المدن ومجالسها المحلية مهمة تأمين مساكن لهم، حيث قامت بعض المدن والبلدات مثل «أريحا والغدفة» بريف إدلب، والأتارب بريف حلب، بتجهيز مراكز إيواء للمهجرين.

كما أعلنت عدة مجالس محلية في ريف إدلب عن تقديمها لمنح ترميم للمنازل، مقابل استضافة أهالي العائلات المهجرة من غوطة دمشق.

وناشد المجلس المحلي في مدينة معرة النعمان في بيان صدر عنه في ٣٠ آذار الماضي، الأهالي بالوقوف إلى جانب إخوانهم المهجرين وتقديم يد العون والمساعدة لهم، ومقاسمتهم بالأموال والبيوت.

وجاء في البيان: "ان المجلس المحلي في معرة النعمان يعتزم على ترميم البيوت المتضررة بقيمة ٥٠٠ دولار وما دون، والتي تتضمن أبواب ونوافذ وصنابير مياه أو غير ذلك من الأمور البسيطة، مقابل استفادة عائلة من عائلات إخواننا المهجرين من الغوطة الشرقية لمدة يتم تحديدها مسبقاً ضمن عقد وشروط تحفظ حق الطرفين".

بينما أبدى المجلس المحلي لمدينة أريحا استعداده لترميم البيوت المتضررة جزئياً والغير مسكونة، بشرط أن يقوم صاحب المنزل بإيواء عائلة مهجرة قسرياً من الغوطة الشرقية في المنزل الذي يتم ترميمه لمدة لا تقل عن عام كامل، وذلك في بيان صدر عنه في ٢٧ آذار الماضي.

ووجه المجلس المحلي في مدينة سراقب في ٢٧ من الشهر ذاته، نداءً للأهالي لتسجيل ما يتوفر لديهم من مساكن أو عيادات طبية أو محال تجارية فارغة أو أقبية أو مزارع لدى غرفة الطوارئ بمكتب الخدمات في المجلس، وذلك للحاجة الماسة لها لإيواء المهجرين من مناطق الغوطة.

وما يزيد الوضع تعقيداً، سوء الوضع الأمني في محافظة إدلب، إذ تشهد محافظة إدلب تصعيداً عنيفاً من قبل الطيران الحربي، في الوقت الذي تستقبل فيه المهجرين من أهالي الغوطة الشرقية، إذ سقط أول شهيد من مهجري زملكا وأصيب ابنه إصابة خطرة، جراء غارة جوية من الطيران الحربي الروسي على مدينة أريحا جنوب إدلب في ٣١ آذار، ليتبعه ٦ شهداء استشهدوا في مناطق سيطرة النظام وقبل وصولهم إلى المحافظة.

حلب في عيون صديقين..

الشاعر عبد السلام حلوم والخطاط محمد عماد محوك

لحلب.. ما يزال الصديقان عبد السلام حلوم ومحمد عماد محوك يكتبان من منفى لجوئهما شعرا وخطا حبا وحنينا لها، كل بطريقته، الأول الذي أرغمنا بشعره أن نعشق التفاصيل الصغيرة في حلب، والثاني الذي أبكتنا الحروف في لوحاته حزنا عليها، صداقتهما جزء من الحنين، كتب حلوم قصيدة مهداة لمحوك، بينما رسم محوك غلاف ديوان حلوم، وحلب كلمة السر التي بينهما.

رائد رزوق

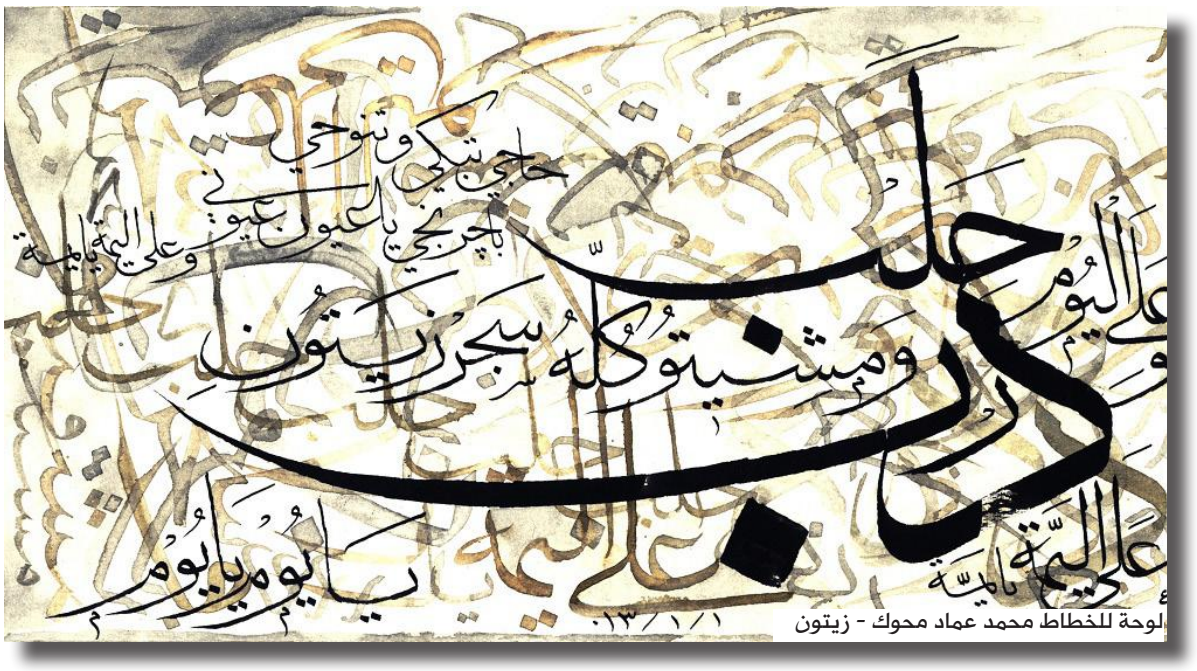

لوحة للخطاط محمد عماد محوك - زيتون

سلام حلوم: "حلب أول مدينة مأهولة بقلبيَ الغريب"

في النزوح لا تنقطع الأمكنة، في الشعر تخرج الأمكنة من الشاعر حتى الموت.

وُلد حلوم في مدينة سراقب عام ١٩٦٣، وحصل على دبلوم دراسات عليا في اللغة العربية من جامعة حلب، وعمل مدرساً للغة العربية في سراقب وحلب، شارك بتأسيس ملتقى الأدباء الشباب في جامعة حلب عام ١٩٨١ وملتقى حلب لقصيدة النثر عام ٢٠٠٩ كما شارك في عدة مهرجانات شعرية دولية وله مجموعة من الدراسات الأدبية والنقدية، وخمس مجموعات شعرية هي: (مديح شاسع للقش – كانات الرجل – الحائط – يسمونه عندنا – كما غدا). يقيم حلوم حالياً في مدينة روتردام في هولندا.

يعيش حلّوم بعد حلب صراعات ملأى بالذكريات، التي يتحدّث عنها في كل ما يكتب، وكأنما لا شيء غير الذكريات هو ما تبقى..

أما الخطاط محمد محوك فقد حرضته رائحة البن فحكى على غير عادته، وغرق بالذكريات فتورط بالبوح بها، عن عشقه المفرط للخط الكوفي ولحلب وقلعتها، وأسواقها القديمة ورائحتها، إلى صمته الطويل، وبكائه أمام آية قرآنية انتهى تواً من كتابتها، عن حزنه الكبير للخراب الذي نحن فيه، بمقهى حلبي في إحدى أحياء إسطنبول، روى لزيتون حكاية الخط في حياته.

بلا معلم، وبصبر الاقتداء بكل ما وقعت عليه عيناه من خطوط من سبقوه، أتقن القواعد لينطلق منها إلى سمائه الخاصة في الإبداع، ويبدو أن عدم اتباعه لأستاذ معين أعطاه الحرية لشق طريقه الخاص، وخلصه من سلطة المعلم، ذلك ما يورده الكاتب صخر الحاج حسين في مقالة له في صحيفة السفير على لسان أستاذ الخط العربي في اسطنبول "نهاد جتين" حين اطلع على أعمال محمد عماد قائلاً له: «لقد اخترت أن تتعلم بالطريقة الأصعب، أنت كعشب بري ينمو من صخرة في بيئة قاسية".

درس محمد عماد الرياضيات التي ساعدته كثيراً في صنع هويته الفنية، ففضاءها وصدقها انعكس على حروفه وخياله، فهي أيضاً كالفن تحتاج إلى الحرية، ولا يمكن للإنسان أن يكون فناناً في الأسر، فهو يحتاج إلى فضائه وجوّه الخاص ليضيف شيئاً.

الفنان الخطاط "محمد عماد محوك": أجمل اللوحات تلك التي مزج حبرها بالدمع على حلب

مشهور بالغربة وغريب في الوطن

محمد عماد محوك الذي غادر حلب لعامين في رحلة عمل إلى السعودية لكتابة نسخة من القرآن، سرعان ما عاد إلى حلب وحجارة قلعتها وجوامعها وأسواقها ورائحة الصابون والزعتر الحلبي، مؤثراً إياها على رفاهية الغربة.

يقيم اليوم في اسطنبول، وتحتفل به وبأعماله الأوساط الفنّيّة في عواصم الفنّ العالميّة، وقد واكب الثورة السوريّة منذ لحظاتها الأولى، وأبدع لوحات خطّية عن الحريّة وعن الشعب وضدّ الظلم، وما زال يبدع كغيره من الفنّانين المؤمنين بالثورة وانتصارها على الاستبداد.

محمد عماد الدين محوك، من مواليد مدينة حلب ١٩٥٩، خريج جامعة حلب كلية العلوم قسم الفيزياء، حائز على دبلوم بترميم المخطوطات من مكتبة السليمانية في اسطنبول ١٩٩٠، عمل بمدينة حلب في جامع السلطانية، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، ويعمل حالياً في منزله بإسطنبول، قام بترميم العديد من المخطوطات والمصاحف القديمة، حصل على جائزة في الخط الجلي فارسي بمسابقة الخط العربي من اسطنبول.

توافق في الأفكار.. واختلاف في التعبير

الطفولة عند حلوم تماثل القصيدة فهي مصدر غني من مصادر النّص لكنه يستثمرها جمالياً في الكهولة: "كشاعر، أرى بعينَيْ الطفل كلّ ما يعشق أمامي، لتصبح القصيدة تمريناً على المستقبل".

لا أعرف لماذا الآن أرثيك يا أبي؟
أ لأنّي أناهز الآن عمرك حين
أنجبتني
أم أنني لم أستطع قتل دمعك
فما زال ينزّ من خابية البيت
ولم أستطع أن أصدّق بعد
أنَّ الموت يأخذ الجميلين باكراً
وينسى الذين لا يستحقون الأمل؟
أم كأنّي لن أتخلّص من نواح قديم
لأرى فداحة موتك؟

فالحزن في صغار الأبناء يظل نديّاً يا أبي.

في حين ترى محمد عماد محوك متأملا كراهب في طفولته: كان أبي موظفاً بسيطاً، لكنه صافٍ وجميل، لم يكن خطاطاً، لكنه كان ملكاً حين يكتب، وكنت تراني أقف مذهولاً وأنا أراقبه، فقد كان يتعامل مع الحرف بقدسية ومحبة، أورثني إياهما منذ الصغر، كما كان أستاذي في الصف الأول ذا خط جميل، وأذكر أنني في ذلك الحين وأنا أتعلم على ألف باء الكتابة، كتبت له حرف الواو فقال لي الأستاذ "واوك جميل جداً" رافقتني هذه الجملة خمسين عاماً.

العزلة والعزوف عن الشهرة

يقول حلوم: "لم أفتّش يوماً عن دار نشر، وكل ما طبعت هو بجهود الأصدقاء وبخاصة صديقي الناشر «حسين برو» فله الفضل في إصدار مجموعاتي عبر دار «كوبيا» وملتقى قصيدة النثر في حلب، لكننا الآن بعيدين في الجغرافيا، وننتظر معاً إصدار الجديد في دواوين.

ويضيف: "لتسويق الشاعر عتَلات آخرها النص، وأنا لا يهمّني في وجودي غير أن أكون شاعراً، والشللية الثقافية كما أسميتها هي – ما لم تكن جهوداً جمعيةً لتيار شعري ما- عصابة يحكمها شرع الغاب ولكن بأثواب مختلفةٍ، دائماً كنتُ أصرّ على القارئ الحقيقي الذي يسأل لمن هذا النص؟ وليس هذا «الفلان» ماذا كتب؟.

من جانبه لم يسعى محمد عماد محوك لتسويق نفسه، لكنه ضاق من تهميش لوحاته في بلده، فهو معروف في الدوحة والرياض أكثر مما هو معروف في حلب، حلب التي سكنته، لم تعطه الفرصة والحرية، ومعرضه الوحيد الذي أقامه فيها عام ١٩٩٧ ندم عليه، قائلاً عنه: "كان حجم الأمية محبطاً".

للفن والأصدقاء أولوية

في حمى إخلاصه لعشقه يروي محمد عماد محوك كيف أنه حين نصحه صديقه "بشار فستق" بقراءة رواية "الإخوة كارامازوف"، وكان حينها بفترة امتحانات، خسر عاماً دراسياً وهو مستغرق في قراءتها، كما حدث أن فضّل في حادثة أخرى حضور معرض فني في مقهى الجامعة على حضور امتحانه، في حالة ينتفي فيها المنطق لتحل مكانه أولويات الشغف.

ويعتبر محمد عماد أن الخط مثل اللون ومثل الشعر ومثل الموسيقا يجب أن يكتب بصدق مع المعنى، تسمع الكثير من الشعراء لكن قلة منهم من يبكيك، الفارق بينهم هو الصدق الذي كتبت به تلك الكلمات، حين طلب إليه صديقه الشاعر "عبد السلام حلوم" أن يصمم له غلاف ديوانه "أما قبل" أرسل له بعضاً من القصائد، كان مطلع إحداها "لا أعرف لماذا الآن أرثيك يا أبي"، بكى في تلك الليلة، وما زال يعجز حتى اليوم عن إكمالها كما يقول.

ويرجع محمد عماد سبب ذلك كونه الصبي الوحيد في الأسرة، ما اضطره لكي يفرد مساحة واسعة في حياته للأصدقاء مع أقرانه في الحي والدراسة.

يقضي محمد عماد ساعات طويلة ماشياً في شوارع اسطنبول باحثاً عن أصدقائه الذين لهم في حياته دور كبير، وحين لا يجدهم يذكر أمه وهي توصيه بقراءة سورة الضحى عندما يفقد شيء ما ، يقرأ محوك الضحى ولكنه لا يجد أحداً.

التنويع ورفض القوالب

المتابع لتجربة حلوم الشعرية يجد أن هناك تطوراً بين مجموعة شعرية وأخرى، فما بين مديح شاسع للقش الصادرة عام ١٩٩١ و"كما غداً" الصادرة في ٢٠٠٩ هناك اختلاف واضح في بنية القصيدة وفي خطابها، ولا يقف حلوم عند تغيير الشاعر لخطه في القصيدة الواحدة، ناهيك عن تغيير خطه في ديوان أو مجموعة دواوين، فالركود يُفسد حتى الماء.

كما يعتبر محمد عماد محوك بأن الجمال والإبداع لا يمكن أن يعلب أو يقونن، ما دفعه إلى تجاوز قواعد الخط الكلاسيكي رغم اتقانه لها، فللإبداع توازنات تخرج عن إمكانية ضبطها، ورغم بدئه من القواعد إلا أنه اتخذ فضاءه الخاص، فالألف في القاعدة سبع نقاط، لكنه في لحظة ما قد يجعلها اثنتا عشرة نقطة، ويرى أن القواعد والقوانين تأتي في محاولةٍ لأسر وإلقاء القبض على لحظة الإبداع، أيا يكن فالفن سابق للقواعد، كما سبق الشعر البحور، وكما سبقت النظرية البراهين في الرياضيات، إذ يأتي العمل أولاً ثم توضع القوانين.

لحلب يُنظم الشعر وتُخطّ الحروف

المطارح لدى الشاعر لم تعدْ موغلة بالعنب، والشوارع التي يحبّ أن يعبرها وحيداً صارت أيضاً وحيدة، وأيلول المتلعثم في شفة الفستق الحلبي، وذكريات آثار تعذيب المشمش واضحة على جلد قمر الدين، حلب، عشقه الأبدي ولقاؤه المرتجى.

يصف حلوم علاقته بحلب بقوله: حلب هي السرّ نفسه، مسقط القلب، أول مدينةٍ مأهولةٍ بقلبيَ الغريب، أحبّها التاجر والسائح والرحالة والضيف، فما بالك بمن عاش فيها زين شبابه.

في المدينة، وأنت تدخل من طرف السويقة
يدلّك إلى سوق العطّارين، نداء شجيّ كما كلّ أصوات العميان :"أبو فاس "
يقف في الزاوية كعمود آبد
يربط إلى عنقه رفّاً من خشب معتّق
يرتّب قنانيه الصغيرة منسّقة
كما الخواتم في جام الصيّاغ
وبمهارة ساعاتيّ يناولك ماتريد
للّين في مفاصل المسنّين
للوجع الواخز في رسغ العاملات
في قطب الخرز
وتعشيق الحرير بالقصب على مناديل العذارى
لتكبير النهد
لتغليظ الشفاه

لدرّ الحليب في صدور المرضعات الفقيرات
لعودة الشيخ إلى صباه
للشقيقة في رؤوس المخطوبات غصباً إلى أبناء العمومة
وللخائبات النصيحة: أن لاعلاقة للعشب بإنجاب العاقر وتطويل القامات.

بالمقابل يتأمل الخطاط لوحة كتب عليها اسم حلب، لا توحي إلا بالبكاء، يشير إلى حبرها المدد بدموعه إثر دمار مدينته، ومن على ضفتي الألم والحرية، يرى أن هذا الدمار لا بد منه، بعد سنوات الخنوع الطويلة، اللوحة التي تستمد كلماتها من التراث الحلبي، تتداخل حروفها كتداخل الدمع والدم، وتنضح بالعويل والبكاء، وتجسد الدمار والخسارة التي لحقت بتلك المدينة.

ويحلم محمد عماد في تجسيد الخط العربي بأربعين لوحة تمثل حجارة قلعة حلب، تطوف العواصم العالمية، كسفيرات عن السوريين، في إشارة إلى أن السوري صاحب حضارة ورسالة، أضاف سابقاً وما زال قادراً على أن يضيف قيماً وفناً انسانياً محضاً، إذ ما يزال محمد عماد يجيب على من يسأله متى تعلمت الخط؟ بأنه تعلمه منذ أربعة آلاف سنة، وجَدُه هو من اخترع الكتابة.

للحرية كتبا

الحرية، اسم لواحدة من أكثر لوحاته زخماً وتكثيفاً لفكر محمد عماد محوك، فيها يقف الشعب السوري بكل مكوناته الملونة بلونه الأسود ما قبل الثورة، في تلميح لنظام القمع، وترتفع ألف ولام الحرية كقضبان سجن على هذه المكونات، لتحل بعدها الحرية الحمراء وتحررهم من سوادهم، ليأخذ كل مكون منهم لونه وفرادته، لوحة بألف مشهد وبألف كلمة.

بدوره يغني حلوم بقصيدته "أريد وطني"
أريد وطني
ولو رمادا أريده
فلنا في الولادة منه تجارب وحكايات
ولو طينا أريده
فنحن أول من شواه ألواحا
ومحونا أمية التراب
ولو حجراً على حجر أريده
فليس أسهل على السوري من العمران

طريف السيد عيسى.. 35 عاما من الانتظار انتهت بعبوة

طريف السيد عيسى - أنترنت

ياسر السيد عيسى

حط جسد أبو الفدا والذي أنهكته السنون أخيرا في تراب بلده مسجى بعلم ثورته، تنتظر فوقه أول براعم الربيع القادم لكي تتفتح.

طريف السيد عيسى، من مواليد مدينة إدلب، خرج من وطنه هربا من بطش نظام الأسد الأب، وتنقّل في عدد من البلدان، جاب بقاع الدنيا عله يجد أرضا تؤويه وعائلته، من العراق إلى الأردن واليمن وحتى الهيمالايا إلى جنوب أفريقيا، بجوازات سفر مزورة بعد أن أغلق وطنه عليه بابه، حتى استقر به المطاف في السويد.

كان حلمه بعد أن خرج هارباً من سيارة اعتقاله، طريداً بين وديان وصحارى بلده، ليدخل حدود الأردن بأعجوبة من ملاحقيه، ثم يجلس مدة طويلة مختبئاً ممنوعاً من الظهور العلني في شوارع عمان، كان حلمه الذي خبئه بين أضلعه أن يعود إلى مدينته، ويكحل عينيه برؤية بيت العائلة الذي تربى فيه، رغماً عن جيشِ وأجهزة مخابرات أخرجتهَ منه منذ كان فتيا.

أربعون عاماً وهو يدفع ثمن عناده، وأعوان الأسد يلاحقونه من بلد إلى بلد، حاولوا اغتياله في الأردن، لتنقذه مشيئة اللّه، وحين منحته السويد جنسيتها وجواز سفرها، وكبرت عائلته، ركب الطائرة عقب أول صرخة حرية في وطنه، وهي ما كان ينتظرها منذ أربعين عاماً، كاتباً لها المقالات محرضاً عليها، لتحط رحاله في أقرب نقطة لحدود وطنه في الريحانية.

شارك بأول مجلس وطني للسوريين بالدوحة، ثم اعتزل تلك المجالس حين علم كيف تتشكل وما المراد منها، فتح مع ابنه الشاب صفحة الثورة السورية التي أشعلت جمع المظاهرات وقتها وأعطتها أسماء، واضطر ابنه أن يتخفى متستراً خلف اسم فداء السيد حتى لا يحمّل الوزر لعائلته، استقبل الثوار خفية في تركيا ونسق معهم ودعمهم فكرياً وإعلامياً ثم عسكرياً حين دعت الحاجة لحماية المتظاهرين.

تحقق حلمه بعد أن اقتحم مع ثوار إدلب مدينتهم في آذار ٢٠١٥، ليحرروها من عصابات الأسد، وقف طريف أمام مبنى المحافظة فخوراً برشاشه، وتخطى عتبة بيته وجلس على درجاته قائلاً للأسد وأعوانه: «ها قد جئت منتصراً أخيراً»، لكنه لم يجد في منزله من يرحب به أو يزغرد لعودته، كان المنزل فارغاً موحشاً من أهله، فقد بعثرتهم الأعوام الأربعون بين تراب تدمر أو مقبرة مدينته أو في بلاد التشرد.

وعندما اغتصبت الفصائل المستوردة الثورة، حولوه لمرتد ولاهث خلف سراب الاسلام المدني وشعارات المواطنة الزائفة، لم يجد له في زمن قطعان الجراد التي تغطي سماء مناطق الثورة أحداً يقبل بسماع صوت العقل والحكمة، كانت حفلة الجنون تكبر وتستعصي على الجميع، اكتفى وهو يحمل ذلك البركان الداخلي بالمشاركة في المجالس المحلية بأي نشاط مدني في مدينته، وبالعمل الخدمي في مجلس المدينة الذي تم حله بقوة السلاح، وبنشاطِ إغاثيِ ودعويِ لا يهدأ.

ظل أبو الفدا وحيداً بعد تحرير مدينته كمشرد، فقد استشرت تنظيمات القاعدة في المناطق المحررة، وأعادت أجواء ما قبل التحرير، قهراً وسجناً وإرهاباً للصوت المخالف، تحمّل كل ذلك القهر الداخلي ولم يقبل بالعودة لعائلته في المغترب، ارتضى العيش وحيداً صامتاً عسى الغمامة السوداء أن تنجلي، بيد أن كل من يعرفه يكتشف عنفوان الرجولة فيه، مترافقاً بسلام داخلي، كان يتحداهم بهدوء نفسه وطمأنينة يقينه، وكانوا يشعرون بالذعر من تفجر بركانه، فاجتمعوا على قتله، وهو الذي يحمل بين أضلاعه تفاصيل وخبايا تحولات ثورة الحرية.

أوصى أولاده بالتبرع بأملاكه للّه ورافقها بعدة وصايا منها: «أوصي أهلي وذريتي بالاستمرار بالدعاء لي بالرحمة والمغفرة والعفو، وأطلب من الجميع وكل من اسأت له أن يسامحني».

الشيء الوحيد الذي يكسر ظهرك، فقدك لعزيزك الذي تعتبر وجوده مهما لك ولغيرك، في هذه الأوقات بالذات، تشعر في داخلك أن ثورتك التي آمنت بها، تخسر جزءاً منها، وهي التي كانت تجري مع كل شهيق له منذ خطت لحيته قبل أربعين عاماً.

بركانٌ لم تهدأ ثورته إلا بمفخخة جبناء متربصين ينتظرونه خلف الجدران كفئران في شوارع مدينته، سبقها تعرضه لعدة محاولات اغتيال على يد أعوان الاستخبارات السورية في شوارع عمان ولكن قدر اللّه كان يحميه، ليقضي أبو الفداء نحبه في يوم الجمعة ٢ آذار الماضي ، متأثراً بجراحه التي أصيب بها منذ شهر ونصف جراء انفجار عبوة ناسفة في سيارته.

حوار مع الناشط السياسي حسين أمارة:

الثورة في سوريا كانت عفوية لأنها وَرِثَت أحزاب هزيلة

- "حال التجمعات السياسية في محافظة إدلب كحال كل التجمعات السياسية على كامل الساحة السورية، الثورة في سوريا كانت عفوية لأنها وَرِثَت أحزاب هزيلة جداً لا تملك ثِقَل جماهيري وثِقَل سياسي فاعل ومؤثر على الأرض، لا أُحَمِّل المسؤولية لأحد نحن جميعا نَحمل المسؤولية، كل المدنيين والسياسيين والمثقفين بشكل أو بآخر، ولكن حتى هذه اللحظة لا يوجد نضج سياسي ولا إمكانية لقيادة الأهالي في الأراضي المحررة.
- القادة العسكريون فشلوا بإدارة المناطق المحررة، ورغم ذلك لم يقتنعوا بالتيارات المدنية والسياسية
- لا يمكن أن تقوم قائمة لسوريا إلا بتعدديتها.
- ظهور التنظيمات المسلحة وخاصة ذات الطابع الإسلامي المضلل، أثّر على دور المرأة وجعله متدنيا.

نظراً لما لمحافظة إدلب من خصوصية في بقائِها خارج سيطرة النظام، وبما فيها من هامش حرية كان متاح سابقاً، ولأسبقيتها بتشكيل العديد من التكتلات السياسية منذ بدء الثورة، وتوفر الأرضية السياسية، كان من المهم إبراز دور هذه التجمعات في الفترة الحالية والمقبلة، وتبيان قدرتها على بلورة قيم وأهداف الثورة ضمن إطارات مدنية وسياسية، والدفع باتجاه العمل السياسي بديلاً أكثر كفاءة من العمل العسكري أو التنسيق بينهما.

وفي محاولة لقراءة الواقع السياسي في محافظة إدلب، والحديث عن واقع ومستقبل التجمعات السياسية، التقت جريدة زيتون بالناشط السياسي "حسين أمارة" في منزله وكان الحوار التالي:

خاص زيتون

– ظهرت في محافظة إدلب مجموعة من التجمعات السياسية بهدف توحيد صوت الثورة وتمثيل أهدافها، ما رأيك بالتجمعات السياسية في محافظة إدلب؟ وهل هي قادرة على بلورة رأي سياسي يمثل السوريين؟

حال التجمعات السياسية في محافظة إدلب كحال كل التجمعات السياسية على كامل الساحة السورية، الثورة في سوريا كانت عفوية لأنها وَرِثَت أحزاب هزيلة جداً لا تملك ثِقَل جماهيري وثِقَل سياسي فاعل ومؤثر على الأرض، نتيجة القمع المستمر الذي كان يمارس سواءً من الأسد الأب أو الابن، كان هناك بقايا أحزاب سياسية هزيلة تحول قسم منها إلى منتديات في البداية مثل منتدى الأتاسي وغيره.

بعد انطلاق الثورة ونتيجة غياب الأحزاب السياسية ولتعويض هذا الغياب، ظهرت تجمعات ذات طابع مدني، خاصةً عندما ضغط النظام باتجاه تحويل العملية السياسية التي قامت ضِده إلى عملية مسلحة، لكي يكسب شرعية دولية لقمع الثورة، وبعد تحول الثورة السياسية في سورية من ثورة مدنية سلمية ضد الظلم والطغيان إلى ثورة مسلحة، نتيجة ضغط النظام في هذا الاتجاه، وقبول الطرف الآخر لهذا الأمر وانجراره لمطامح النظام بتحويلها لثورة مسلحة، نشأت هذه التجمعات المدنية والسياسية، ولكنها حتى الآن لم تُثمِر لأنه طغى الجانب العسكري على الجانب السياسي، وبِجُهد وعمل الفصائل العسكرية منع المدنيين والقِوى المدنية من تكوين نفسها ومخاطبة الشارع، بسبب حالة التنافس بين القادة العسكريين وشعورهم بأنهم الطرف الأقوى وخَلطهم بين السياسة والعسكرة وفرض رأيهم بأن تكون الساحة لهم، وبالتالي لهم أحقية بإدارة المدن لامتلاكهم السلاح.

وللأسف هم لا يمتلكون القدرة على ذلك وفشلوا بإدارة المناطق المحررة، ورغم ذلك لم يقتنعوا بالتيارات المدنية والتجمعات السياسية التي بدأت تظهر في الساحة السورية، كي لا تُشكِل منافسة لهم وتنبه الناس إلى أفعالهم التي كانت تضر أحياناً بمصالح المدنيين.

في سراقب مثلاً، كان هناك تجمعين أحدهم التجمع الثوري السوري في سراقب -وأنا كنت واحداً منهم- وتجمع نداء سوريا، لنتحدث عن التجمع الثوري السوري وهو تجمع نشأ في آذار ٢٠١٦ وضم عدداً لا بأس به من الشباب القانعين والطامحين في الدولة المدنية الديمقراطية التعددية، وكان مطلبنا أن تكون بديل للنظام القائم، وتشكلت الهيئة العامةً للتجمع، وإنتَخَبت مكتب سياسي، ومكتب قانوني ومكتب ثقافي ومكتب إعلامي،

لكن تواتر الأحداث وتسارعها وهَيمنة جبهة النصرة التي تحولت لاحقاً إلى هيئة تحرير الشام، التي حاولت تخويف وترعيب وإرسال التهديدات والتشهير بكل التجمعات المدنية التي كانت في سراقب، على أنها علمانية وتكفيرية الخ، لذلك لم نستطيع النهوض بأنفسنا وتوسيع القاعدة الشعبية كما يَجب

التجمع ما زال موجود لكن إجتماعاته معلّقَة منذ سنة بسبب التخوف من إرهاب هيئة تحرير الشام بشكل أساسي.

أما تجمع نداء سوريا الذي يختلف عن التجمع الثوري السوري في مدينة سراقب، ليس من باب التشهير ولكن يضم من أقصى اليمين إلى الوسط وليس اليسار، وبالتالي الأشخاص الذين يَفرضون سيطرتهم على التجمع لا يعلمون ماذا يريدون في سوريا المستقبل، ولذلك عندما سيطرت هيئة تحرير الشام على محافظة إدلب، كان قسم منهم إلى حدٍ ما موالي للهيئة من تحت الستار، وهذا ما أضعف من تجمع نداء سوريا.

التجمعات السياسية في مدينة سراقب قائمة ولكن بشكل هزيل ومجمدة، وليس لها أي نشاط واضح ومعلن، ولكن الظروف التي مرت فيها المدينة من هجمة النظام العسكرية على الأطراف الشرقية للمحافظة، وحالات النزوح من الريف الشرقي بما فيها سراقب التي انضمت لاحقاً لقافلة النزوح، خفف من هذه العملية ولكن الآن توجد دعوات لتنشيط العمل المدني السياسي.

– إذا برأيك كل التجمعات السياسية في محافظة إدلب بما فيها الهيئة السياسية هزيلة غير نشطة وغير قادرة على تمثيل رأي الناس؟

فيما يخص محافظة إدلب والهيئة السياسية فيها تحديداً، الهيئة السياسية بإدلب دمرت نفسها بنفسها، وذلك لمشاركتهم بالاجتماع التأسيسي لحكومة الإنقاذ، وهذا أشعر الناس بأنهم بدون موقف من هيئة تحرير الشام (جبهة النصرة)، التي أضرت بالثورة السورية وأفقدهم المصداقية، وهذا لا يعني أن بقية الفصائل لم تُضِر بالثورة، كل الفصائل أضرت بالثورة، مع احترامي للشهداء الذين سقطوا في الثورة السورية، ولكن الفصائل المسلحة أضرت بالثورة السورية أكثر مما أفادت، بسبب الارتباطات الدولية والإقليمية، فهم عبارة عن "ريموت كونترول" وجميع هذه الدول لها مصالح وتدعم فصائل تُنَفِذ مصالحها، قد يكون هناك تقاطع للمصالح في نقطة أو اثنتين وتختلف معها في ثمانية من عشرة، وهنا يجب علي أن أستغل هذه النقطتان لمصلحتي، وليس الاستسلام للثمانية من عشرة بشكل كامل لتصبح في مصلحة الداعم الإقليمي أو العالمي، للأسف الفصائل المسلحة تُغْفِل هذا الأمر وهمها الوحيد استمرار الدعم وخاصةً القادة، الذين همهم الوحيد الدولار الذي يدخل جيبهم.

الهيئة السياسية وقعت في مطب تحرير الشام وفقدوا مصداقيتهم، وليس لديهم الآن أي رصيد جماهيري لهم اسمهم فقط.

باختصار كل التجمعات السياسية في الساحة السورية هزيلة بما فيها الهيئة السياسية، وهي ليست قادرة على بلورة رأي سياسي يمثل الناس وبعيدة كل البعد عن تطبيق أي قرار على أرض الواقع، أنا لا أُحَمِّل المسؤولية لأحد نحن جميعاً نَحمل المسؤولية، كل المدنيين والسياسيين والمثقفين بشكل أو بآخر، ولكن حتى هذه اللحظة لا يوجد نضج سياسي ولا إمكانية لقيادة الأهالي في الأراضي المحررة.

– تحدثنا عن تجمعات سياسية هزيلة، وعسكرة أعاقت العمل السياسي وحجمت التجمعات السياسية، الآن كيف ترى العلاقة بين هذه التجمعات والأهالي في محافظة إدلب وما حجم الثقة المتبادلة؟

لا يوجد علاقة بين هذه التجمعات والناس لطالما دخلت في حالة كمون ووصلت لمرحلة الجمود، ذَكرت سابقاً يفترض خروج دعوات جديدة لتنشيط العمل السياسي الثوري في محافظة إدلب، الناس وصلت لمرحلة القرف من العمل المسلح، وأدركت بفطرتها وبطبيعتها وبوعيها أنه لا يوجد أمل من الفصائل المسلحة، وأننا غير قادرين على هزيمة النظام عسكرياً ولا حتى النظام قادر أن يهزم الثورة عسكرياً، ومن الأساس يوجد فيتو دولي بهذا الأمر باتفاق روسي أمريكي.

الآن يوجد دعوات جديدة على مستوى المحرر لإعادة تفعيل وتنشيط هذه التجمعات والتواصل مع الشارع المستعد للعمل السياسي بعد مقته من العمل العسكري.

– ما الحل حالياً للخروج من العُزلة – إن وجدت – التي وقع بها العمل السياسي، وكيف يمكن إعادة ثقة الأهالي للانخراط بالعمل السياسي؟

في الدرجة الأولى يجب أن نكون واعين لِما يحاك في سوريا، بعض الدول العالمية والإقليمية ليس لديها مشكلة في تفتيت سوريا لتصبح دويلات، وبعض الدول العالمية والإقليمية لا تَصب في مصلحتها عملية التقسيم هذه، كتركيا وروسيا، لكن نحن كشعب سوري من مصلحتنا أن تكون سوريا دولة موحَدَة وديمقراطية، وهذا هو هدفنا الذي قمنا من أجله في الثورة واستبدال النظام بنظام آخر ديمقراطي، خرجنا ضد نظام قمعي ديكتاتوري فاسد يعتبر سوريا حظيرة أغنام له ويقوم باستغلالها.

الوضوح والشفافية في الطروحات هو أساس العمل وأساس تقبل الناس، نحن نريد سوريا مدنية ديمقراطية تعددية لكل المواطنين السوريين، بغض النظر عن الإثنيات العرقية أو الطائفية أو المذهبية، وكل ما كان هذا الطرح واضحاً كان تقبل الناس له أكبر.

الشيء الآخر، حتى تقنع الناس أن تكون حولك وتشكل حاضنة وسياج لك، المفروض التعايش مع قضاياهم اليومية وحاجياتهم المُلِحَة وتقديم إمكانياتك للناس، وفي حال عدم وجود إمكانيات لديك، عليك الخروج بمظاهرة ولو بعشرة أشخاص تطالب بحاجياتهم الخدمية كالطبابة وارتفاع الأسعار وسوء المعيشة، مع الإشارة لسبب الخلل للأهالي وفضح المُستغليّن لحقوقهم.

يَجب أن تكون صوت الأهالي المُعلن لفضح الأطراف المستغلة، بقدر ما تكون قريباً من الناس بقدر ما يشكلون حاضنة لك، وهنا يبدأ الوعي ويتطور لدرجة أن يَصلوا لمرحلة الاقتناع بأن كل القضايا التي يطرحها البعض كالقضايا الدينية، هي قضايا دخيلة لم نتعايش معها تاريخياً في سوريا، وهي قضايا تَزيد في الشرخ وتؤدي إلى انقسام

سوريا وتضر بمصالحنا قبل الضرر بأي طرف آخر.

– كيف يمكن القيام بعمل سياسي حر في ظل سيطرة العسكر وفرض إرادته، مع القمع الممارس في معظم الأحيان لكل صوت مخالف؟

بدون أدنى شك يوجد خطورة، ولكن مثلما أقدمنا على مخاطرة مقاومة النظام وخرجنا مظاهرات ضده يجب المخاطرة، وإذا تسلل الخوف من الاعتقال أو الخطف إلى أنفسنا، فأننا في هذه الحالة لسنا أهل للثورة بشكل أساسي، وكان علينا أن لا نقوم بثورة ضد النظام، كنا نعلم أن النظام سوف يقمعنا ومع ذلك خرجنا بدون خوف، والآن يجب أن لا نخاف ويجب أن نخاطر ولو خطف أحد منا، هم لا يستطيعوا خطف كل الناس.

وحين تنهض ويكون معك مجموعة من الناس ويكون هناك دعاية وتوعية لفكرة معينة تلتف حولها الناس، لن يستطيعوا مقاومة كل المجتمع وسوف يجبرون على الانكفاء على أنفسهم، خذ مثلاً الاشتباكات الأخيرة بين تحرير سوريا وتحرير الشام، بعد خروج المظاهرات لتحييد الاقتتال في المدن، اضطروا لتحييد هذه المدن تحت ضغط مطالب الناس.

المهم نزع هاجس الخوف من قلوبنا، وخاصةً المتنطحين لدور العمل السياسي، الذين نذروا أنفسهم لهذه العملية، السوريون منذ فترة بعيدة تخلصوا من هاجس الخوف ولكنهم بحاجة الى جهة تقودهم وتمشي أمامهم أو بجانبهم على الأقل.

– هل ترى أن الشارع له الثقة والاستعداد لتقبل العمل السياسي بدون خوف بعد سبع سنين عانى فيها من قمع متعدد الأوجه؟

ثقتي في الجماهير لا متناهية في البعد والكبر، عندما تُقدم فكرة للناس وتقوم بالتوعية ويقتنعون بها سوف يمشون في طريقها حتى الموت، وكل الفصائل تعرف أنها ليست أقوى من بشار الأسد وجيشه ومخابراته،
لذلك مطلوب مِنا نحن السياسيين والمثقفين والذين حملنا على عاتقنا مسؤولية قيادة الناس من أجل الوصول لأهدافهم، يتوجب علينا البدء بإقناعهم بالانضمام للعمل السياسي، وأنا ألاحظ وجود أشخاص بسطاء ليس لديهم أي إرث أو تاريخ سياسي، يقومون بالدعاية لمظاهرات، يحضروها مع السياسيين القدامى، وهذا إن دل على شيء يدل على استعداد الناس رغم كل ما قدموه سابقاً، على التقديم مجدداً في كل الأراضي السورية المحررة وغير المحررة.
عدم الوصول لحالة سياسية ذات طابع مدني ديمقراطي خلال سبع سنوات أدى الى تراجع الناس عن العمل السياسي، فقدان هذه الحلقة سَبَّب حالة ضياع عند الناس بين الفصائل والسياسيين، لذلك حالياً إذا قمت باستطلاع رأي ماذا تريد، سيكون الجواب غالباً لا أعرف أو يعطي جواباً بعيداً عن الذي تريده، هذا يعطيك دليل عن العجز منذ البداية، وأننا لم نكن أهلاً لهذه المسألة.

– يوجد نُخْبَة سياسية واعية تقود الحراك المدني الثوري وتدعو لمظاهرات، وفي الوقت ذاته هناك تراجع في العمل السياسي لدى التجمعات والأحزاب في المحافظة، هل يعود السبب في هذا التراجع إلى أخطاء تنظيمية؟

الأنانية وحب التسلط وحب الزعامة أصاب الحركة السياسية في سوريا في مَقتل، بالإضافة إلى وجود أخطاء سياسية وتنظيمية، ونشوء تكتلات لا تقوم على مبادئ وأفكار واضحة، إذ أن كل مجموعة من الشباب كانت تُشكِل تجمع معين، وفي كل منطقة جغرافية أصبح هناك أكثر من تجمع، ولم يحدث بينها التقاء أو اندماج، لأن كل طرف يعتبر نفسه هو الأساس، وبَقيت التجمعات ذات طابع فئوي، أو متأثرة بالتنظيمات السياسية السابقة، وبقي كل شخص متأثراً بتاريخ حزبه الذي أتى منه، مُتَمَتْرِساً بخلفية حزبه القديم دون تنازل، وفي الحقيقة لم يستطيع أي طرف تقديم شيء أو جمع الأهالي حوله.

فمثلاً في مدينة سراقب وُجِدَ التجمع الثوري السوري وتجمع نداء سوريا، وقامت دعوات لدمج الحركتين معاً، فأصبح الأمر محاصصة هل نسميه تجمع أم نداء أم تجمع نداء، وكأن المسألة خلاف على الاسم، وكان من الأجدى قبل مناقشة الاسم، أن يكون تفاهم أنا ماذا أريد وأنت ماذا تريد، فإذا تم التوافق على النقاط والبرامج لا مشكلة بالاسم، ولكن في حال عدم التوافق هنا تصبح حالة طلاق ويجب إعادة الحوار، وفي النتيجة لم يحدث لقاء أو اندماج بينهما

– إذاً لا يوجد موقف مؤثر إيجابي يدفع الثورة إلى الأمام من كل التجمعات السياسية الموجودة في الأراضي المحررة؟

لا يوجد موقف يجعلنا نتغنى به، ولم تتعدى هذه المواقف عتبة البيانات حول قضية ما حدثت في الثورة السورية نقوم بالتوقيع عليها نحن والأهالي، وهذه أصلاً ردّاتُ فِعل وليست مواقف لجذب الناس ودفعهم لعمل معين يخدم الثورة.

– كيف ترى دور المرأة في العمل السياسي علماً أن التجمعات النسوية إنتشرت بشكل كبير في الآونة الأخيرة؟

من الناحية النظرية لا يستطيع أحد أن ينفي دور المرأة فهي نصف المجتمع، هي الأم والزوجة والبنت والأخت،

ولكن ظهور التنظيمات المسلحة وخاصة ذات الطابع الإسلامي المضلل، أثّر على دور المرأة وجعله متدنياً

فهي تستطيع القيام بدور أفضل، في الحقيقة لا أدري من أين يأتون بالمفاهيم التي يطرحونها، فمثلاً في مدينة سراقب شاركت المرأة في المظاهرات ولكن ظهور الحركات المسلحة وخاصةً التيارات الإسلامية، أدى إلى اختفاء دور المرأة من المشهد نهائياً، ولذلك لا يلاحظ أي دور للمرأة حالياً، ومطلوب الآن من التجمعات المدنية الثورية التي نشأت أو في طور النشوء، إحياء دور المرأة لأنها عنصر فعال و أساسي في المجتمع، ويمكن الاستفادة من طاقاتها الكبيرة التي لا تقل عن طاقات الرجل .

– كيف يمكن تطوير عمل التجمعات النسائية وتحفيزها على المشاركة في العمل السياسي؟

هناك عدة أساليب لإحياء دور المرأة في المناطق المحررة، كترميم التجمعات المدنية الثورية وإشراك المرأة فيها ويمكن إشراك المرأة أيضاً في التوعية والتثقيف وزجها في مجالات عدة كالتعليم والطب، لكن هذا الأمر يحتاج إلى قِوى مقتنعة بالعمل المدني والديمقراطي ومقتنعة في المرأة، وليس قِوى تنظر لها على أنها كتلة من الحرام ولا يسمحون لها بالقيام بأي عمل.

وهذا الأمر حصل سابقاً في بوابة إدلب التي اعتدت عليها جبهة النصرة، وعاثت فيها فساداً، لاحتضانها لقاءً لتجمع نسوي، هم يعتبرون أن دور المرأة فقط في البيت وتربية الأطفال والمطبخ، ويُمنع عليها القيام بأي دور آخر، مهمتها فقط إمتاع الرجل.

ونحن كتجمعات ثورية مدنية يجب علينا القيام بحملات توعية ونركز على دور المرأة، فدور المرأة ليس فقط الإنجاب، هي المعلمة والمهندسة والطبيبة ويمكنها القيام بأي عمل يقوم به الرجل، فالإنسان بدل أن يمشي أعرجاً على قدم واحدة يستطيع المشي بشكل سليم على قدمين.

لكن هذا الأمر يحتاج إلى فترة من التوعية للمرأة من جهة، وتوعية للرجل بضرورة المرأة من جهة أخرى.

– في نهاية الحديث، هل من كلمة أخيرة تحب أن تقدمها؟

أتمنى من كل قلبي الدعوة لإنشاء أوسع تجمع مدني سوري في كل سوريا، يكون هدفه عملية التغيير السياسي بعد إسقاط بشار الأسد، وإقامة دولة مدنية تعددية ديمقراطية لكل السوريين، بغض النظر عن انتماءاتهم، وأن لا نسمح للمتأسلمين الجدد المضللين أن يزرعوا بأفكار الناس أن هذا نصيري ضدنا، وهذا درزي ضدنا، وهذا علوي ضدنا.. الخ.

لا يمكن أن تقوم قائمة لسوريا إلا بتعدديتها هذه، يجب على الناس أن تعي أن هذه الفسيفساء السورية، هي قوة لنا إذا أردنا، ولكن إذا أردنا أن نسمع للمتأسلمين الجدد المضللين فهذه نقطة ضعف وستؤدي إلى دمار سوريا.

لذلك أدعو إلى أوسع تجمع مدني سوري يناقش موضوع فترة ما بعد الأسد، والمحافظة على سوريا موحدة أرضاً وشعباً، ولا يمكن أن تكون موحدة أرضاً وشعباً بخطاب طائفي أو مذهبي، وحدتها تكون بخطاب وطني ديمقراطي يشمل كل السوريين بغض النظر عن انتمائهم إن كان مذهبي أو عرقي أو سياسي.

من مظاهرات معرة النعمان - نت

*الناشط السياسي حسين أمارة من مواليد سراقب ١٩٤٨، أحد مؤسسي رابطة العمل الشيوعي، ومؤسس التجمع الثوري السوري، وأحد منظري لجان إحياء المجتمع المدني عام ٢٠٠١، تعرض للاعتقال السياسي من قبل نظام الأسد عام ١٩٧٧ وحتى ١٩٨٠، كما اعتقل بين عامي ١٩٨٥ وحتى عام ١٩٩٢.
شارك في اعتصام القصر العدلي بدمشق عام ٢٠٠٥، وكان من أول المشاركين بالثورة السورية والمظاهرات ٢٠١١ بفاعلية.

كتب الكثير من المقالات حول أحقية الثورة، وحذر من تسليحها وانحرافها من قبل المجموعات المتطرفة، وعلى رأسها جبهة النصرة وداعش. معروف عنه نشاطه في أي حراك سياسي أو ثورة تساهم في بناء سوريا الديمقراطية.

تعرف على سبب تسميتها.. حبة السنة وأنواعها

آثار حبة السنة على الوجه - أنترنت

بشار الخالد

لا يتجاوز طولها ٢ أو ٣ ميليمتر، ولا ترى بالعين المجردة، وتنشط في فصل الربيع، ما بين غروب الشمس وشروقها، حجمها صغير ولكن فعلها كبير.
تُفسد على الأهالي فرحهم بالخلاص من برد الشتاء وليله الطويل، وذلك بما تزرعه من خوف في نفوسهم، لا سيما في السنوات الأخيرة، وما حملته من دمار.
ليست قنبلةً أو قذيفة، أو سلاحاً من أسلحة الأسد كما يتبادر للذهن للوهلة الأولى، لكنها تعيش في الأبنية المهدمة، وفي المستنقعات والأماكن الظليلة وحظائر الحيوانات.

أنثى ذبابة الرمل، الناقل الرئيسي لمرض اللشمانيا أو كما يسمى حبة حلب أو حبة السنة، والذي بات ينتشر بكثرة في الشمال السوري، نتيجةً لتوفر العوامل المساعدة على انتشاره من بقايا الأبنية المدمرة والمهجورة، والمساكن العشوائية، وانخفاض المعايير الصحية والخدمية في المنطقة.

أخصائي الأمراض الجلدية ومدير مركز العمالية للعيادات التخصصية في مدينة إدلب الطبيب «كمال سرميني» تحدث لزيتون عن مرض اللشمانيا وأنواعه وأعراضه قائلا:
«مرض اللشمانيا هو مرض طفيلي سببه طفيلي اللشمانيا وحيد الخلية، ينتقل للبشر عن طريق عامل ناقل وهو أنثى ذبابة الرمل، وله ثلاثة أنواع حسب العامل الناقل، اللشمانيا الجلدية وهو الأكثر انتشاراً وشيوعاً، واللشمانيا الجلدية المخاطية، واللشمانيا الحشوية، وهو النوع الأخطر لأنه يسبب الوفاة إذا لم يعالج».
وأضاف «سرميني»: «من أعراض مرض اللشمانيا الحشوية، الحمى غير المنتظمة، التي يرافقها نقص وزن شديد ووهن عام وفقدان الشهية للطعام، وتغير لون الجلد وميلانه إلى السواد، بالإضافة لفقر الدم والضخامة الشديدة في الكبد والطحال».
تتواجد العديد من المراكز الطبية التي تقدم العلاج لمرض اللشمانيا في محافظة إدلب، كما يتواجد مركزان في مدينة إدلب، أحدهما مركز العمالية الذي يستقبل شهريا مئة وخمسون إصابة جلدية جديدة، وإصابة كل شهر أو شهرين من النوع الحشوي، بحسب أخصائي الأمراض الجلدية ومدير مركز العمالية للعيادات التخصصية في مدينة إدلب.

طرق الوقاية

وكون مرض اللشمانيا يختلف اختلافا جذريا عن باقي الأمراض من حيث الناقل، وانطلاقاً من مبدأ «درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج»، فلم يقتصر الأمر على تقديم العلاج فقط، بل عملت منظمات المجتمع المدني على تشكيل فرق مختصة تقوم بحملات منظمة لرش المبيدات، بهدف القضاء على هذا الناقل، والحد من انتشار المرض.

المشرف في فريق مكافحة اللشمانيا «يامن الخالد» قال لزيتون: «نظراً لأهمية الوقاية في القضاء على العامل الناقل، وبالتالي الحد من انتقال مرض اللشمانيا، وبناءً على معرفة سلوكية الذبابة كونها لاتطير أكثر من مترين ارتفاعا، نقوم بتنفيذ حملات رش مبيدات على جدران المنازل من الداخل فقط دون الأسقف، بالإضافة لرش الأماكن المهجورة وأماكن جمع النفايات وحظائر الحيوانات».

وأضاف «الخالد»: «في الأماكن الموبوءة، وفي فصل الصيف تحديداً، نقوم بتوزيع ناموسيات خاصة فتحتها صغيرة جداً، لا تستطيع الذبابة المرور عبرها، وهي وسيلة هامة من وسائل الوقاية».
وبسبب خطورة مرض اللشمانيا، وانتشاره بشكل كبير كظاهرة لم يعتد عليها الأهالي من قبل، وكون فترة حضانة الطفيلي داخل جسم الإنسان تمتد من شهرين إلى ثمانية أشهر قبل ظهور حبة صغيرة مكان اللدغة، وهو ما يزيد من خطورة المرض، لأنه يبقى متخفياً دون إظهار أية أعراض، كان من الضروري نشر حملات التوعية بالمرض وأسبابه وخطورته، ومكان تواجد الذبابة، وضرورة مكافحتها برش المبيدات الخاصة.

مسؤول توعية في فريق مكافحة اللشمانيا «عبدالله رحمون» قال لزيتون:
«نقوم بزيارات لكافة المنازل وتوزيع البروشورات الخاصة، بهدف توعية الأهالي عن المرض وخطورته، وطرق الوقاية منه، وتسهيل عمل فرق رش المبيدات».

وأوضح «رحمون» أن الكثير من الأهالي لا يعلمون أن أنثى ذبابة الرمل قد تعيش في أي شق في جدران منازلهم، أو أنهم بارتداهم لباس ذو أكمام طويلة أو استخدام الناموسيات الخاصة، يوفرون لأنفسهم ولعائلاتهم وقاية من مرض خطير.
فيما أبدى عدد من الأهالي تخوفهم الحقيقي من الفترة المقبلة، نظراً لما عانوه في السنوات السابقة، وخصوصاً بعدما رصدت حالات إصابة باللشمانيا من النوع الحشوي وتسجيل حالات وفاة أيضاً، مع توقعاتهم بارتفاع عدد الإصابات لهذا العام، نتيجة لانتشار المخيمات العشوائية الغير مخدمة بالصرف الصحي بشكل سليم، ناهيك عن طول فترة العلاج التي قد تصل إلى سنة، ومن هنا أتت تسميتها بحبة السنة.

من مشاركات التجمع الثوري في مدينة إدلب - زيتون

التجمع الثوري ينظم مظاهرات مدينة إدلب

شهدت مدينة إدلب في الآونة الأخيرة مظاهرات نددت بهيئة تحرير الشام واقتتال الفصائل، وطالبت بابتعادها عن العمل المدني وخروجها من المدينة، وكان لافتا ظهور اسم التجمع الشعبي الثوري في المظاهرات، ما أثار التساؤلات حول هذا التجمع ومشاركته الشارع في المظاهرات، فمن هو هذا التجمع؟.

يرى القائمون على التجمع الثوري في مدينة إدلب أنه تجمع شعبي ثوري مكون من أبناء المدينة، يهدف لإنعاش كافة المجالس المدنية بما فيها المجلس المحلي وغيره، إضافة لدعم النقابات والاتحادات، أغلب أعضائه من الثوار الأوائل، ويبلغ عدد أعضاءه ١٨٠٠ عضواً.

وأوضح عضو التجمع الثوري في مدينة إدلب «رياض سميع» لزيتون كيفية تكوين هذا التجمع قائلا: «نحن مجموعة ناشطين ثوريين ارتأينا أنه يجب أن يكون هناك تجمع شعبي ثوري يجمع أبناء مدينة إدلب، ليتم الإعلان عن هذ التجمع في ١٢ شباط الماضي بإدارة مؤقتة، كما تم تكليف مجموعة من المحامين والحقوقيين بوضع نظام داخلي للتجمع وآلية انتخاب، سينتهي في غضون أيام، وسيتم طرحه والاستفتاء عليه وإقراره بشكل نهائي، وستُجرى فيما بعد عملية الانتخاب بأقرب فرصة».

ويرى التجمع أن من أهم معايير انتخاب الأعضاء الأساسيين وأعضاء الإدارة الذين سيبلغ عددهم خمسة أو سبعة أعضاء، أن يكونوا من أصحاب الكفاءات والاختصاصات العلمية، وقد وضعت الجنة المؤقتة قراراً بعدم السماح للجنة المشكلة للنظام الداخلي التقدم للانتخابات.

ونظراً لكون التجمع حديث العهد، فليس له مكاتب أو فروع في مدن وبلدات محافظة إدلب بعد، ولكن يجري التواصل حالياً مع ناشطين من مناطق مختلفة في المحافظة، من بينهم ناشطين من النازحين من أبناء محافظات حلب وحمص وريف دمشق، بهدف الوصول إلى تجمع ثوري سوري شامل، وفقاً لعضو التجمع الثوري في مدينة إدلب.

التشتت والضياع وضعف الصوت المعبر عن الأهالي منذ تحرير مدينة إدلب وحتى اليوم، دفع خالد ناصيف أحد أبناء المدينة لرؤية وجود التجمع على أنه خطوة موفقة ومهمة في الاتجاه الصحيح، لتصحيح وتحقيق مطالب الأهالي.

من جانبه يعارض الرئيس المؤقت للتجمع الثوري «ياسر ياسين» ما قامت به هيئة تحرير الشام من حل مجلس مدينة إدلب وترك المدينة دون إدارة مدنية، معتبراً أن هذه الخطوة خطأ كبير، مؤكداً على عملهم كتجمع لعودة المجلس السابق والدفاع عنه والمحافظة عليه.
وعن موقفه من تدخل الجيش التركي في المحافظة فيرى رئيس التجمع أنهم مع هذا التدخل إن كانت غايته إنهاء الحرب وتثبيت النقاط وإحلال السلام، لكن إن كان غايته الاحتلال وتثبيت مصالح تركيا فهم ضده وضد اتفاق استانا بشكل عام معتبرا أن الاتفاق ضعيف وهش ويهدف إلى تقسيم سوريا.
ويرى الرئيس المؤقت للتجمع الثوري بمدينة إدلب أن الفصائلية كانت سبباً في تشتتيت العمل العسكري في الثورة، مؤكداً أن التجمع مستقل ولا يتبع لأي فصيل، وأنه ضد الفصائلية وما يحدث من اقتتال، مبيناً أن التجمع قام بتنظيم مظاهرة في مدينة إدلب مؤخراً، للمطالبة بتحييد المدينة عن الاقتتال بين الفصائل، ولقيت استجابة من جميع الفصائل وتم تجنب إقحام المدينة بأي قتال.

مشاركة التجمع في المظاهرات المعبرة عن رغبة الأهالي وآرائهم هو أهم ما يقوم به التجمع، وتأتي شرعيته من كونه شعبيا وثوريا ومكونا من أبناء المدينة، ما يؤهله لتمثيل المدينة بجرأة.

بحسب الياسين الذي أكد أن التجمع لن يلجأ إلى أساليب التجمعات السياسية في إصدار البيانات، بل سيقوم بالمطالبة بها مباشرة عبر التظاهر والاحتجاجات والاعتصامات، وهي الوسيلة الأنجع والتي تحوز على احترام الأهالي وتقديرهم، وبعد التجمعات السياسية عن الشارع وعدم مراعاتها للحركة الثورية هو ما سبب انعدام الثقة من قبل الشارع لهذه التجمعات، بعكس ما يمتلكه التجمع الثوري من شعبية وثقة نتيجة لمشاركته الحراك على الأرض.

من إيجابيات التجمع رغم حداثته بحسب نهاد لطيفي أحد أبناء المدينة أنه يضم ثوار مدينة إدلب القدماء، ما يخوله بأن يمثل الشارع وما يعانيه أهالي المدينة.

«صهيب مكحل» أحد الناشطين الإعلاميين في المدينة لا يتوقع أن يحالف التجمع النجاح بسبب انتشار العسكرة وسطوتها على الأرض، مستبعدا أن يتم تغيير الواقع عبر المظاهرات والاحتجاجات وغيرها من الوسائل السلمية.

رغم ما يشكك به البعض من علاقة التجمع ببعض الفصائل كحركة أحرار الشام، وهو ما نفاه التجمع وأكد على استقلاليته، إلا أن التجمع يمارس حقه بالعمل المدني وبالتعبير السلمي عن مطالب محقة ظهرت بشكل واضح في المدينة، هذا العمل المدني الذي اتكأت عليه الفصائل في نشوئها وانتشارها، ما يعيد الحق إلى أصحاب الكلمة الأولى في العمل المدني المعبر عن مصلحة الأهالي.

قاطعوا كأس العالم في روسيا.. مونديال الدم

من صفحة الحملة

«الروس حاولوا اغتيال معارض لبوتين مقيم في بريطانيا، فقامت الأخيرة بالتهديد بمقاطعة المونديال، وتحاول حالياً إقناع أمريكا وبقية دول أوروبا بالموضوع، وسخرت كل ماكينتها الإعلامية لهذا الموضوع، بالإضافة لعقوبات اقتصادية.. لأجل شخص واحد فقط، وروسيا ترتكب يومياً مجازر بحق السوريين وتقتل منهم العشرات، ناهيك عن الجرحى والمصابين، هل الدم السوري رخيص إلى هذا الحد؟»، بهذا التساؤل علق المتحدث باسم حملة «قاطعوا كأس العالم في روسيا.. مونديال الدم» حسام مروح عبر صفحته الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي.

وعد البلخي

بدأت حملة مقاطعة كأس العالم في روسيا ٢٠١٨ بعد أشهر قليلة من التدخل العسكري الروسي المباشر في سوريا في أيلول ٢٠١٥، أطلقتها مؤسسة العمل من أجل سوريا، وهي مؤسسة غير ربحية معنية بحملات الرأي العام السياسية والإنسانية حول سوريا ومقرها باريس.

«روسيا التي ارتكبت أفظع المجازر بحق الشعب السوري، إما بشكل مباشر أو عن طريق دعم إجرام وإرهاب نظام الأسد، هي ذاتها من سيستضيف خلال شهر حزيران من العام الحالي كأس العالم، هذا الحدث الذي طالما كان رسالة إنسانية راقية ورمزاً للمحبة والسلام بين شعوب الأرض، وهي بجرائمها في سورية لا تستحق أن تكون حاملة وراعية لهذا الحدث العالمي، ولذلك نطلب من الشعوب المحبة للسلام دعمنا في تجريد روسيا من استضافة كأس العالم.

لأجل أطفالٍ ونساءٍ قضوا بأسلحة روسيا التي لم تخجل من القول بأنها تجربها عليهم. ولأجل الإنسانية جمعاء، انطلقت في أوائل الشهر الجاري، حملة لمقاطعة كأس العالم في روسيا بعنوان «قاطعوا مونديال الدم الروسي».

هدف الحملة كما يقول المتحدث باسمها «حسام المروح» لزيتون هو حث المنتخبات الرياضية الوطنية والشركات الراعية واللاعبين والأفراد على مقاطعة البطولة المقامة في روسيا، وهي أحد أنواع الضغوطات المباشرة على روسيا، التي باتت اليوم غير آبهة بالنداءات الإنسانية وتقوم بالجريمة على الملأ.

ويضيف «المروح» أنه كان لابد من إيجاد وسيلة تضغط بصورة حقيقية وتؤثر على مصالحها الاقتصادية والمالية، مستدلاً على أهمية هذا الخيار، بالأزمة التي حدثت مؤخرا بين بريطانيا وروسيا بعد قيام الأخيرة بمحاولة اغتيال عميل مزدوج، فلجأت بريطانيا فوراً بالتهديد بمقاطعة كأس العالم، ودعت شركائها الدوليين للوقوف معها في مقاطعتها، لأنها تدرك جيداً أن بوتين يريد من خلال استضافة البطولة إبراز وتضخيم دور روسيا في العالم، بالإضافة للمكاسب الاقتصادية، وهذا الحدث لا تستحقه دولة توسع نفوذها وتغذيه بدماء الأطفال.

كما تهدف الحملة إلى لفت نظر وسائل الإعلام العالمية لما يجري في الغوطة الشرقية، وممارسة الضغط على الاتحاد الدولي لكرة القدم الفيفا، لإلغاء استضافة كأس العالم في روسيا، إضافة لتوجيه أنظار المجتمع الغربي واللاعبين العالميين ودوائر صنع القرار إلى الجريمة الروسية في سوريا والغوطة، وما ألحقته من أذى بالطفولة السورية، وربما تشكل الحملة ضغط على روسيا لإيقاف حملتها الهمجية على سوريا.

من تستهدف الحملة؟

يقول القائمون على الحملة أنها كانت منذ البداية باللغتين الإنجليزية والفرنسية، لتكون وسيلة للدفاع عن حقوق الشعب السوري في الأوساط الإعلامية والسياسية الغربية، فتم نشر عريضة للتوقيع موجهة للفيفا، وهي متوفرة بعدة لغات منها العربية، وبدأت باعتصام أمام السفارة الروسية في باريس، دعمتها جمعيات فرنسية وناشطين سوريين وفرنسيين وجنسيات أخرى، وخصوصاً من تدخلت وتتدخل روسيا بدولهم مثل أوكرانيا والشيشان وجورجيا.

كما تم التواصل لاحقا مع شخصيات مؤثرة للترويج للفكرة، وخلق لوبيات ضغط من سياسيين في بريطانيا وفرنسا ورؤساء مراكز أبحاث سياسية، الذين استجابوا وتكلموا عن أهمية المقاطعة في وسائل الإعلام من المقابلات التلفزيونية، إلى أشهر الصحف ومراكز الأبحاث السياسية مثل البروفيسور «نيكولا تينزر» رئيس مركز الدراسات السياسية في باريس «CERAB»، و«يانيك جادو» مرشح حزب الخضر لرئاسة الجمهورية في فرنسا، و«روني برومان» أستاذ العلوم السياسية والرئيس السابق ومؤسس أطباء بلا حدود، و «نيك ليغ» نائب رئيس الوزراء البريطاني السابق، و «ريبيكا هارمس» عضوة البرلمان الأوربي، التي أطلقت نداء منذ ٣ أشهر للسياسيين والأفراد بعدم الذهاب لروسيا خلال البطولة، إضافة إلى شخصيات أخرى.

ويرى «المروح» أن هناك حملات أخرى للمقاطعة بعدة لغات منها الروسية، التي يدعوا لها أوكرانيون ومعارضون روس، وبالعربية يقوم بها نشطاء سوريون، يؤمل أن يكون هناك دعم شعبي لها جميعاً، مبديا استعداد مؤسسة العمل من أجل سوريا للاستمرار بالعمل إلى جانبهم، وذلك لوحدة الهدف المشترك بين كل الحملات، وهو أحد وسائل العمل على إيقاف ماكينة القتل.

ولا تعتمد الحملة كثيرا على وسائل التواصل الاجتماعي، رغم مالها من وصول على الأرض تجلت بمقاطع مصورة لأطفال سوريين في مناطق سوريا يعبرون فيها عن رفضهم لمونديال روسيا، وهو ما يوضحه «المروح» بقوله:

«حملات الضغط لا تقاس فقط على وسائل التواصل، فليس كل ما يطلب هناك يلبى في المؤسسات الدولية، فلا بد من خلق دائرة من الطبقة السياسية لدعم هكذا مشاريع، والكثير من المقاطع المصورة هي جزء مما نقوم بترجمته وإرساله للكثير من الجهات والأشخاص، الذين تمكنوا من خلالها من الاطلاع بشكل أعمق على ما يحدث في سوريا، فالشخصيات التي دعمت الحملة تحدثت عن المقاطعة أمام الملايين في التلفزيونات والصحف الغربية، أما الانتشار على وسائل الإعلام هو دليل على تحولها لحملة شعبية».

المهم عندهم أن تذهب هذه الفرق إلى موسكو لتصافح مَن يُبيد أطفال سورية، ويمحو مدنها وتراثها، الممتد لآلاف السنين، والأهم أيضاً أن لاعبيهم سيسجدون في الملعب بعد كل هدف يسجلونه، بينما الجزار الروسي يقف فوق رؤوسهم! وسيبادلون المواطن الروسي التحية والسلام، والذي ربما هو أو أحد أقاربه يُطلق الصواريخ والقنابل الحارقة على أطفال حلب والغوطة.

وكان أهالي الغوطة الشرقية قد وجهوا رسالة لأحرار العالم تطالب بإيقاف كأس العالم في روسيا جاء فيها: «مع اقتراب كأس العالم ٢٠١٨ في روسيا، يعول الروس على هذا الحدث بشكل كبير، لتمرير رسائل على عدة أصعدة، روسيا التي ستستقبل ملايين الجماهير لمتابعة كرة القدم، هي نفسها التي تقصف وتدمر وتجرم بالسوريين منذ تدخلها في عام ٢٠١٥، وهي التي حرمت الابتسامة من وجوه أطفال سوريا، وحرمتهم لعبة كرة القدم، وسرقت البهجة والفرح من طفولتهم، فقد تسببت الحملة الهمجية الروسية، وقصف النظام السوري، على الغوطة الشرقية بريف دمشق، بقتل المئات وجرح آلاف من المدنيين، ووضع مصير نحو ٤٠٠ ألف مدني محاصر، أمام مصير مظلم ومجهول»

يتابع أهالي الغوطة رسالتهم قائلين: «تزايدت المخاطر بعد الحشود العسكرية للنظام السوري على أطراف الغوطة، والبدء باقتحامها من عدة محاور، بالإضافة إلى تصريح الروس بأن مصير الغوطة هو نفس مصير حلب الشرقية سابقاً».

كما سعت مجموعة من الناشطين حول العالم، إلى لفت الانتباه إلى الحملة الشرسة، التي تقوم بها روسيا في سوريا عموماً والغوطة الشرقية خصوصاً، وذلك عبر استثمار شعار البطولة التي ستستضيفها روسيا لكأس العالم، والتي سيلعب فيها أشهر لاعبي كرة القدم، وذلك بمختلف الطرق الممكنة، بالإضافة إلى حملة على موقع آفاز، لإيصال رسالة إلى الاتحاد الدولي لكرة القدم، للضغط على روسيا والعمل على سحب تنظيم البطولة منها، عن طريق منتجات بصرية «صور وفيديوهات» بالإضافة إلى نشر هاشتاغات محددة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

انتشار الحملة

لاقت الحملة رواجا ملفتاً ترافق مع مشاركات واسعة من عدة جهات دولية وإعلامية منها ما أشارت له عدة وسائل إعلام بريطانية من احتمال مقاطعة المنتخب الإنكليزي، مع إمكانية مقاطعة كل من أستراليا وبولندا واليابان تضامنا مع بريطانيا.

وكتب «عبد المحسن جمعة» مقالا مؤثرا في جريدة الجريدة الكويتية جاء فيه: «هناك فرق كرة قدم عربية تحتفل وتستعد للمشاركة في مونديال روسيا، ويضعون علم واسم روسيا على قمصانهم وسلعهم وشعارات محطاتهم التلفزيونية. وبينما العرب يفعلون ذلك، انطلقت منذ أيام من هيئات حقوقية في ألمانيا، وبعض الجهات بشمال أوروبا، دعوات لمقاطعة مونديال روسيا، بسبب المذابح التي تقوم بها في الغوطة الشرقية، وسابقاً في حلب وعدة مدن سورية عربية».

وأشار الكاتب إلى تواطئ العرب على إطلاق مثل هذه الدعوة لمقاطعة المونديال الروسي، فالمهم عندهم أن تذهب هذه الفرق إلى موسكو لتصافح مَن يُبيد أطفال سورية، ويمحو مدنها وتراثها، الممتد لآلاف السنين، والأهم أيضاً أن لاعبيهم سيسجدون في الملعب بعد كل هدف يسجلونه، بينما الجزار الروسي يقف فوق رؤوسهم! وسيبادلون المواطن الروسي التحية والسلام، والذي ربما هو أو أحد أقاربه يُطلق الصواريخ والقنابل الحارقة على أطفال حلب والغوطة.

ودعا الفنان السوري «عبد الحكيم قطيفان» للمشاركة في الحملة كل عبر دائرته، فلكل منا صوت مؤثر ومهم لوقف ومقاطعة مونديال روسيا ٢٠١٨.

حين عبرنا الجسر

اليوم، ذكرى الثورة السورية، هو وقت مناسب للإشادة بشجاعة الشعب السوري الذي دعا إلى الحرية والكرامة في عام ٢٠١١ وتحمل العنف الذي لا يوصف منذ ذلك الحين.

ربما ما يحدث في الغوطة الشرقية من أحداث مأساوية لم يحدث سابقا في أي مكان في العالم، وهي المنطقة التي كانت من أولى المناطق التي نهضت بالاحتجاجات، والتي صمدت أمام أطول حصار في التاريخ الحديث، مع ما يرافقه من قصف وحشي.

لتكريم هذه الرحلة التي دامت سبع سنوات من الاحتجاج إلى الحرب إلى النزوح القسري، نستعرض عدد قليل من الأصوات من شعب الغوطة الشجاع.

ثورة

طبيب من الغوطة:

عُقدت مظاهرة «الجمعة العظيمة» تضامناً مع عيد الفصح. أردنا تشجيع المسيحيين السوريين على الخروج والمشاركة، وجاء الناس من جميع أنحاء ضواحي دمشق، من دوما، حرستا، زملكا، كفر بطنا، أتذكر أننا عبرنا جسراً واهتز تحت أقدامنا بسبب عددنا الكبير.

السيارات المليئة بالشرطة والشبيحة جاءت من كل اتجاه، وهاجمتنا بكل شيء يمكن أن يجدوه، صارع الناس الغاز المسيل للدموع وسكبنا الكولا على وجوههم، الأمر الذي يخفف من تأثير الغاز لكن وجوههم كانت لزجة ومتلألئة.

كنا نردد «الحرية، الحرية، الحرية!» ثم صرخ أحدهم: «الشعب يريد إسقاط النظام!» نظر الجميع إلى بعضهم البعض وفكروا، «هذا الشخص قال للتو ما كنا نرغب في قوله منذ سنوات» بعد كل ذلك الصمت.

الحرب الحية

عامل إغاثة من دوما

عشت من خلال المباني التي تسقط أمام عيني. عشت من خلال الجثث. عشت من خلال الصواريخ التي من شأنها أن تحول الأطفال إلى مليون قطعة. في بعض الأحيان كنا نجمع الأشلاء بأيدينا، فلم يكن هناك جسم كامل لدفنه، كل ما هناك يد أو ساق أو رأس.

لم يكن من المفترض أن يعترض جيش النظام الهلال الأحمر، لكن في بعض الأيام كانوا يهددونا بأسلحتهم، في بعض الأيام كانوا يأخذون المصاب مباشرة من سيارة الإسعاف الخاصة بنا، ذات مرة احتجز الجنود زملائنا في فريق الإسعاف، وضعوهم مقابل الجدار وأطلقوا النار على صديقي في الرأس، عندما جاء شخص وأخبرنا، شعرت بالدوار وأغمي على الفور، استشهد صديق آخر وأصيب ثالث، كما استشهد اثنان منهم في وقت لاحق، لقد قتل كل زملائي في العمل.

في آب، كان الهجوم الكيماوي، في الشوارع رأيت الناس مجمدين في سياراتهم، اختنقوا حتى الموت، أخبرني زملائي أن هذه هي المرة الأولى التي يحملون فيها الجثث بدون دماء. كل الذين رأيناهم في الطريق كانوا موتى، نتحقق من الأخبار كل ثانية، هذا الشخص لا يزال على قيد الحياة، قتل هذا الشخص، صدقوني لو ساعدنا العالم منذ البداية، لما وصلنا إلى هذه النقطة.

أنا مشمئز من الإنسانية، نحن في الأساس موتى أحياء، في بعض الأحيان أمزح بالقول أن على أحدهم أن يجمع السوريين في مكان واحد ويقتلنا دفعة واحدة ونترك بشار يحكم دولة فارغة.

طيران

إيمان مهندسة من حرستا

بعد شهر من وصولنا إلى تركيا، سجلنا مع الأمم المتحدة للنظر في الهجرة إلى مكان آخر، استمر إجراء المقابلات والتحقق الأمني مدة عامين، سألونا عن كل ما حدث لنا، وحصلوا على كل تفاصيل حياتنا بدقة تامة، كانوا يقابلون زوجي ويقابلوني في غرفتين منفصلتين، الكثير من الضغوط النفسية، كنا نخشى فعلا أن ننسى ونقول أشياء مختلفة، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالتواريخ، قال زوجي إننا هربنا من منزلنا في بداية شهر تموز، لكني تذكرته بنهاية شهر تموز، حين أصبح القصف يوميا.

لمدة عامين، كنا نعيش على الأمل، ثم في أحد الأيام اتصلوا، ما زلت أحلم بالعودة إلى سوريا، عشنا شهرين فقط في منزلنا الجديد قبل أن نتخلى عنه، لقد اخترت كل شيء في المنزل بكل حرص وعناية: الأثاث، والستائر، وألوان الجدران. أحلم أن أعود إليها مرة أخرى في يوم من الأيام، زوجي لا يريد العودة، له الحق في التفكير بهذه الطريقة، بعد ما عانى في السجن، بالنسبة لأولئك الذين عانوا من هذا القبيل، إن نسيانها نعمة كبيرة.

الحياة تحت قنابل الأسد:

محمد محصور من دوما

أنا رجل يشعر بالقلق ويشعر بالخوف كثيراً، أعتقد أن هذا الخوف هو غريزة عظيمة نمتلكها كبشر، والتي تحمينا أحيانا وتبقينا أحياء، أخشى أن أكون تحت الأنقاض، هذا هو السبب في أنني دائماً أترك منزلي، إذا أمكن، أثناء الانفجارات لأذهب إلى المستشفى حاملا كميرتي.

في ٦ شباط، في الأيام التي تلت وفاة بعض أقاربي بسبب القصف، استيقظت على أخبار عن أشخاص عالقين تحت الأنقاض، لقد قررت عدم التقاط الصور في الأيام التي تلت مقتل أفراد عائلتي، أخبرني صديقي أن عائلة أحد أصدقائنا كانت تحت الأنقاض، ذهبت إلى حيث كانت الخوذات البيضاء تبحث عن مدنيين، مع كاميرتي، كان صديقي يبكي منهارا. بدأ القصف في الساعة ١١ صباحا، وكانت أولى الجثث التي عثر عليها لابن صديقي في السادسة مساء.

في كثير من الأحيان أسأل نفسي السؤال الأكثر إيلاما: «لماذا أصيب هذا الرجل، وليس أنا» عندما أرى الصور، أشرد بأفكاري، ربما في عالم آخر، ربما كنت قد غادرت هذا المكان قبل الحصار، وواصلت دراستي وأصبحت مهندسًا معماريًا، إنها فكرة رائعة، ولكن بعد بضع دقائق أستيقظ من هذه الأفكار وأقول، «أحتاج إلى أن أكون واقعيًا، حتى في أحلامي.» ربما، إذا وصلت على متن قارب إلى أوروبا، فقد أغرق في الطريق».

عندما أحاول النوم، يصيبني الأرق، أضع رأسي على الوسادة، وأتساءل عما إذا كانوا قد وجدوا بقية الأشخاص المفقودين، أقلب وجهي نحو السقف ثم أفكر «ماذا لو كان سقف غرفتي آخر صورة أراها في حياتي؟».

كنت مستلقيا على سريري، أفكر في كل الأخبار التي سمعتها عندما استيقظت، كانت أطول ليلة في حياتي، قبل أن تغلق عيني، سمعت صوت انفجار ضخم، ذهبت إلى المستشفى، حيث قالوا إن أغلب الجرحى هم من الأطفال، ذهبت إلى هناك لأنني كنت في حاجة إلى سبب لترك منزلي، والابتعاد عن السقف الذي شعرت به يحدق بي، كل سقف فوق رأسي هو أداة قتل.

من كتاب لبنى مرعي «حين عبرنا الجسر»
مجلة التايم الأسبوعية

SNP
زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع